سفير الغرب وتحرير المرأة



وجيه يحياوي

يعود الفضل في قيامنا بهذا العمل
إلى كتابات الدكتور (بهاء الأمير)
التي كانت ومازالت مرجعنا الأساسي لدراسة الواقع والتاريخ

قضية تحرير المرأة

{ إنـها مسألة أكبر من رُوّاد حركة التحرير

وفوق مستوى كل المدوّنين والنشطاء الحقوقيين }

وجيه يحياوي

1

- تمهيد -

إن قضية تحرير المرأة كما عرفها المجتمع الإنساني المعاصر، شديدة الارتباط بتاريخ الغرب وعقائده وتطور رؤاه وكانت وليدة التمرد على النصوص المزيّفة والتعاليم المنسوبة للإله زورا وما تحمله من رؤية للوجود والإنسانية رجلا وامرأة.

فالتحرير على الجانب الغربي ثمرة تتدلّى من فرع تفرّع من أصل عميق الجذور في العالم الغربي (الحضارة اليهودية-النصرانية) والشجرة التي أعطت هذا الفرع وهذه الثمرة وتغذّيها هي التي أنبتت غيرها من الفروع والثمار التي تلتقي كلها في الأصل الواحد وتغتذي من التربة الواحدة.

فإذا انتقلت إلى الجانب المسلم للبحث عن استعباد المرأة الذي تصبح القضيّة تحريرها منه، فلن تجد لها فرعاً ولا أصلاً ولا جذراً ولا أرضًا تنبُت منها، وإنما تحرير المرأة في الشكل الذي أثيرت ووضعت فيه هو ثمرة نُزعت من الفرع الذي تتدلّى منه من الشجرة الغربية دون أصلها وجذورها، وأعيد زرعها في تربة إسلامية ليست بالتي تقبلها ولا بالتي تغذّيها، لذلك يتم تغذيتها دومًا وباستمرار، من أصلها الغربي الذي لو انقطع مدده عنها لسقطت الثمرة ومات الفرع من فوره، وهذا ما يفسّر ارتباط قضية التحرير النسائي المزعومة بباقي فروع الشجرة الغربية وثمارها وما يفسّر عدم قابليتها للنمو ولا للازدهار، بل مقابلتها بفتور ونفور في تربة فكرية اجتماعية إسلاميّة.

فمِمّا لا يدركه كثير من الناس أنّ للعقائد دورًا مركزيًا في الحياة، فبِها يتم تكوين وعي البشر وبناء أذهانهم ونفوسهم التي يرون بها ويفهمون الحياة وكل شيء في الوجود، ومِمّا يغفل عنه الكثير أيضا، أنّ الصورة التي يعرف بها الإنسان الماضي تتحكم في فهمه لحاضره وإدراكه لمستقبله، فإذا عرف الإنسان الماضي مشوّها أو محرّفا تشوّه إدراكه للحاضر والمستقبل.

قصّة الخلق، ومن خلال ما ترويه عمّا حدث للإنسان في الملأ الأعلى وما واكب هبوطه منه إلى الأرض وبدء مسيرته عليها، هي التي تُعرّف الإنسان أصله وحقيقته وكيف أتى إلى الأرض، وتُعرّفه بالإله الذي خلقه، وبالجنس الآخر والعلاقة التي يجب أن تكون بينهما.

ولذا،

فلكي تفهم نظرة المجتمع الغربي والإسلامي التي كانت تجاه المرأة، وموقف الإثنين منها، يتحتم عليك أولاً النظر في قصة الخلق التي كوّنت وعي هذا المجتمع وذاك، لتتبيّن آثارها في العلاقات ودورها في صياغة الأفكار والأحكام، ومن ثم سنكشف لك حقيقة دعوات تحرير المرأة في البلاد العربية، وعن الفاعل الحقيقي والغاية الخبيئة في القضيّة.

تونس

ذو القعدة ١٤٤٢هـ/ جوان 2021 م

2

- خريطة الغرب -

سوف ترى أولا خريطة الوجود (قصة الخلق) في سفر التكوين لتعرف ما الذي تعنيه وما الذي يترتب عليها:

"" وأخذ الربّ الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها. وأوصى الربّ الإله آدم قائلا: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأمّا شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت. وجبل الربّ الإله من الأرض كل حيوانات البريّة وكل طيور السماء، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حيّة فهو اسمها...وكانت الحيّة أحيل جميع حيوانات البريّة التي عملها الربّ الإله، فقالت للمرأة: أحقًّا قال الله لا تأكلا من كلّ شجر الجنّة؟ فقالت المرأة للحيّة: من ثمر شجر الجنّة نأكل، وأمّا ثمرُ الشجرة التي في وسط الجنّة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمسّاه لِئلاّ تموتا. فقالت الحيّة للمرأة: لن تموتا! بل الله عالمٌ أنّه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر. فرأت المرأة أنّ الشجرة جيّدة للأكل، وأنّها بهجة للعيون وأنّ الشجرة شهيّة للنظر، فأخذت من ثَمرِها وأكلت، وأعطت رجُلها أيضاً معها فأكل. فانفتحت أعينهما وعلما أنّهما عريانان..... فاختبأ آدم وامرأته من وجه الربّ الإله في وسط شجر الجنّة فنادى الربّ الإله آدم وقال له: أين أنت يا آدم...وقال للمرأة: تكثيراً أُكثّرُ أتعاب حَبَلِكِ، بالوجع تَلِدين أولاداً، وإلى رَجُلِكِ يكون اشتياقك وهو يَسُودُ عليكِ. وقال لآدم: لأنك سمِعتِ لقول امرأتِكَ وأكلتَ من الشجرة التي أوصيتك قائلاً: لا تأكل منها، ملعونةٌ الأرض بسببك، بالتَّعَبِ تأكل منها أيّام حياتك...وقال الربّ الإله: هُوَذَا الإنسان قد صار كواحد مِنَّا عارِفاً الخير والشر، والآن لعلّه يمُدُّ يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الربّ الاله من جنّة عدن ليعمل التي أُخِذَ منها فطرد الإنسان. "" (تكوين 2، 3)

فاعلم أنّ هذه السطور التي قرأتها هي ما من أجله تعقّب الله عز وجل بني إسرائيل، وأفرد لهم في بيانه إلى خلقه ما لم يفرده لأحد في العالمين غيرهم.

فالإله في هذه الخريطة هو إله مخادع ولا يريد الخير للإنسان، فمنعه من شجرة المعرفة، وهو إله يمكن الاختباء منه كما فعل (آدم)، وصفاته من العلم والمعرفة والحياة الأبديّة، هي صفات مستمدّة من خارج ذاته.

والإنسان كائن وُجِد على الأرض مطروداً ومغضوباً عليه، عقاباً له وليس كخليفة، غير مكلّف بشيء ولم يزوّده الإله بالهدى ولا بالمعرفة، فهبط إليها وهو عاصٍ لله مطيع للشيطان، والأرض التي هبط إليها ملعونة **"ملعونة الأرض بسببك"**، وهي منفى الإنسان الذي انقطعت كل صِلاته بالإله.

كما أن الشجرة التي في وسط الجنّة حُدِّدت بأنها شجرة معرفة الخير والشر، فقد حاول الإله أن يبقي (آدم) جاهلاً لتكون المعرفة خاصّة بالآلهة وحدها، ولكن (آدم) حصل عليها بالتمرد والعصيان.

والغرب أسير تلك القصّة التي حددت نوع الشجرة بأنها شجرة معرفة، فتكوّنت عقليّة الغرب بمعادلة عناصرها هي الإله والإنسان والمعرفة.

ففي حالة المسيحيّة الأولى، كانت المعادلة هي وجود الإله والإنسان في طرف، والمعرفة في الطرف الآخر، بما يعني أن الإنسان إذا كان يؤمن بالإله فعليه أن يتخلّى عن المعرفة التي هي ضد إرادة الإله:

الإنسان والإله = هجر المعرفة

أمّا في الحالة الثانية، وبعد الإطاحة بالنص وسقوط سلطة الكنيسة، صارت المعادلة هي وجود الإنسان والمعرفة في طرف، والإله هذه المرّة في الطرف الآخر، وبالتالي فالإنسان إذا أراد الحصول على المعرفة فعليه أن يتخلّى عن الإله الذي حرّمها عليه:

الإنسان والمعرفة = التمرد على الإله

ومن يتكوّن وعيه وذهنه ونفسه بهذه القِصّة، سوف ترتبط في تكوينه تلقائياً، وبرباط لا ينقصم، حيازة المعرفة والعِلم بالعُرّي، لأنّ الأكل من شجرة المعرفة أثمر مع حيازتها عُرّي الإنسان وانكشاف عورته.

والشيطان هو أيضاً الحيّة حسب قاموس الكتاب المقدّس، وهو الذي عرّف (حواء) بحقيقة الشجرة، وأخبرها بأنها ستحوز المعرفة، وبيّن لها بذلك خداع الإله، فاستجابت لإغواء الشيطان وأغوت هي (آدم) بالأكل من الشجرة، فهي رسول الشيطان وسبب خروجه من الجنّة.

وبسبب ما فعلته (حواء) في هذه الخريطة المحرّفة، فقد شاعت في الغرب القديم عقيدة الزهد والإيمان بنجاسة الجسد، ونجاسة المرأة، وباءت المرأة بلعنة الخطيئة الأولى، فكان الابتعاد عنها حسنة مأثورة لمن لا تغلبه الضرورة، وبلغ من الأمر إلى أن "**اشتدّ سوء الظنّ بالمرأة في أوروبا، وكثر الخلاف حول خلقها وطبيعتها، ونالت وذاقت كاسات الذلّ والهوان، فحُرمت من الظهور في المجتمعات العامّة، وشاعت عادة أقفال العِفّة، وهي أقفال من حديد رُكِّبت في أحزمة وخُصِّصت لتلبسها النساء، حول خصورهن، إذا غاب عنهن أزواجهن في السفر، ثم تغلق بمفاتيح، يبقيها الزوج معه، لا تفارقه لحظة، بل وصل الأمر في بعض المجتمعات، إلى درجة وضع قفل على فم المرأة، تغدو به وتروح، وقد كان يوضع هذا النوع من الأقفال عند خروج المرأة من دارها، حتّى لا يدور بينها وبين الرجال حديث، تغويهم به إلى الرذيلة.**"

(بولس باسيلي، الحب والزواج ص326)

3

- خريطة الإسلام -

﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨﴾ البقرة (30-39)

الإله في هذه الخريطة الإلهيّة المعصومة هو إله حكيم قوي قادر يقول للشيء كن فيكون، له ملائكة طائعة خاضعة لا تعصي أمره وهو متّصف بكل صفات الكمال، ومنزّه عن كل صفات النقص.

والإنسان هو كائن مُكرّم خلقه الله بيده خلقاً مباشراً، وأسجد له الملائكة، ثم أنزله إلى الأرض مقر خلافته تائباً مزوّداً بالمعرفة والهدى ومستعداً لمهمته، حيث اقتضت حكمة الله خلق مخلوق حر الإرادة يكون خليفة له في إمضاء أحكامه وأوامره في الأرض ليعمرها وينفّذ أوامره فيحقق بذلك عُبوديّته مختاراً طائعاً.

والسؤال الآن:

إذا لم يكن هبوط (آدم) إلى الأرض عقاباً له ولا نفياً فلماذا إذاً أهبطه عز وجل إلى الأرض؟

يقول سبحانه وتعالى في بداية أوّل عرض لقصّة الخلق في القرآن في سورة البقرة:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ الآية 30

يخبرك الله عز وجل أنه أهبط (آدم) من الملأ الأعلى إلى الأرض من أجل مهمة محددة، هي أن يكون خليفته عز وجل فيها.

إلا أنّ في الآية حقيقة أخرى كامنة، وهي أن وجود (آدم) على الأرض وهبوطه إليها من الملأ الأعلى واستقراره فيها إرادة إلهيّة وأمر مُقرر عليه قبل أن يوجد وقبل أن يُخلق، ففي هذا الحوار في الملأ الأعلى بين الله عز وجل وملائكته لم يكن (آدم) موجوداً، ولم يكن قد خُلق بعد، ولم يكن قد أُدخِل الجنّة، ولا نُهِيَ عن الأكل من الشجرة، ولا هو أكل منها.

إذاً هبوط (آدم) ووجوده في الأرض واستقراره فيها إرادة الله عز وجل التي لم يُخلق (آدم) أصلاً إلا من أجلها، بل إنه عز وجل لم يُعرِّف الملائكة بالمخلوق الذي سوف يخلقه إلا من خلال مهمّته التي سوف يخلقه من أجلها، وهي الوجود في الأرض وخلافته عز وجل فيها.

فـ (آدم) مكانه الأرض ومستقرّه الأرض وهبوطه إليها مُقرر ومُراد قبل خلقه وهو المقصود من خلقه.

والشجرة التي نُهي عن الأكل منها لم تكن أصلاً للمعرفة، ولا حتى كما شاع في القصص والروايات، والأفلام والمسلسلات، وفي الصحف والمجلات، حتى صار من الثقافة العامّة أن الشجرة كانت شجرة تفّاح، فهي شجرة من شجر الجنّة ولا يؤثر نوعها الذي لم يُذكر في القرآن كله في بنية القِصّة، لأنّ النهي كان للابتلاء والاختبار وبيان عداوة الشيطان.

والله علّم (آدم) الأسماء كلها، فالعلم نعمة من الإله أمدّ الإنسان بها وهداه إلى معرفة الخير والشر، وليست من الشيطان وهو عدوّه المبين، الذي حسده لمنزلته عند الله ومكانته في الكون، ورفض السجود لـ (آدم)، ثم نذر نفسه وحياته لإضلاله وذريّته ليدخلهم النّار، كي يثبت بذلك عدم جدارة هذا المخلوق بالتكريم.

إذاً فآدم إنسان مكرّم ولم يغضب عليه الإله، فماذا عن حواء؟

هاهنا وقفة حاسمة وفاصلة بين القرآن وبين كل ما أنتجه الغرب من ضلالات ونظريّات وفلسفات مسيئة للمرأة مرويّة بمياه خريطة التحريف البني إسرائيليّة.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ طه

القرآن ينسب وسوسة الشيطان لـ (آدم) وليس لـ (حواء)، ثم إنهما أكلا منها معاً ودون إغواء أحدهما للآخر.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾

طه 121

فـ (آدم) وزوجه أكلا معاً ولم تكن امرأته هي المسؤولة وحدها، ولا هي التي أغوت (آدم) ليأكل.

وهذه الحقيقة هي التي بسببها يدرك الرجل أن المرأة شقيقته وسكنه وعونه على الحياة، وهي مكمّلة له لا منافسة له، وهو مأمور بالقيام عليها وحمايتها ورعايتها، وهو ما أدركته أمّة الإسلام قبل مجيء السفير الغربي إليها، حيث انعكست مكوّنات هذه الخريطة الإلهيّة وآثارها على حياتهم وفهموا كل الوجود من خلالها رجلاً وامرأة.

فإليك من كتاب "المرأة في العصور الوسطى الإسلاميّة Women in the Medieval Islamic World"، الذي قام بتحريره سنة 1999 الإنجليزي (غافن هامبلي Gavin R. G. Hambly)، أستاذ التاريخ في جامعة تكساس بدالاس University of Texas at Dallas الأمريكيّة، من أجل الكشف عن دور المرأة المسلمة في الميادين الاجتماعية والثقافيّة والسياسيّة في العصور الوسطى حتى مطلع القرن التاسع عشر، من خلال نماذج لتجارب عديد النساء من الهند وحدود الصين إلى المغرب وحدود الأندلس، مستنداً في ذلك على عِدّة دراسات وبحوث موسّعة (23 بحثاً) إشترك في إعدادها عشرون عالِماً دوليّاً، إليك هذه العبارة لتعرف منها الصورة الحقيقيّة للمرأة في الإسلام التي كشفها لنا أبناء الغرب بعد أن زوّرها أبناء الشرق سفراء الغرب:

"لطالما صَوّر الأوروبيون والأمريكيون، وكذلك بعض المسلمين، بغير كثير تمحيص، المرأة في العالم الإسلامي ضحية مذعنة لقهر الرجال، مُجرّدةً من حقوقها وشخصيّتها، على عكس ما تقدمه المقالات التالية للقارئ من مجموعة مختلفة تماماً من الافتراضات، إذ تكشف عن نماذج نسائيّة مارست تأثيراً سياسيّاً جوهريّاً، ورصدت كثيراً من الموارد الماليّة لتشييد المنشآت العامة، مولية دعمها ورعايتها لصوفيين وأولياء وأدباء كثر، ومشارِكة أيضاً في مجالات متنوّعة على نحو مدهش من النشاطات، وقد ذُهِلت كمحرر للكتاب لرسوم ملونة، الحقيقيّة منها والتخيلية، سيتم عرضها في بعض صفحات هذا الكتاب، مثل المرأة التي تنافس خطيبها في ركوب الخيل والرماية والمصارعة وهي متخفية، وتثبت أنهما متكافآن.. وابنة سلطان دلهي التي تستولي على العروش وتقود وهي سافرة جيوشها في المعركة، والنبيلة التي تأمر بإلقاء عبيدها في النيل لتكتشف كيف تلتهم التماسيح فرائسها." (ص13-14)

4

- خريطة السفير -

هبط الغرب على عالم الإسلام بجيوشه وجحافله وهو يعلم تمام العلم من دروس الحرب الصليبيّة، ألاّ سبيل لتطويع رأس هذا العالم المستعصي الشديد الرّسوخ الشديد الثقة والإيمان بما عنده حتّى وهو في أشدّ حالات ضعفه، سوى بتكوين رأس بديل أكثر ليونة ومرونة وأقلّ صلابة وعناداً، أقلّ ثقة وإيماناً وأكثر انبهاراً، رأس يتكوّن من عقول غربيّة في جماجِمَ شرقيّة، تقود نيابةً عنه جسم العالم الإسلامي -شاء أم أبى- في اتّجاه الغرب وتلحقه به، حيث أقام الأخير تحت سطوة عساكره وعملائه، المدارس التي تدرّس لغته وتاريخه وثقافته وتفصل من يتعلم فيها عن المصدر الذي يكتسب منه أبناء هذا العالم الغريب الصلابة، ليخرج بعدها ابن المدارس الغربيّة غربيّاً في هيئة عربي، وتُفتح له أبواب الجامعات الغربيّة ليعود منها سفيراً لها، يفكّر بعقل الغرب الذي تكوّن بلغة الغرب وثقافته وتاريخه ويرى رؤاه ويعيش بعاداته، فيرى ويحكم على كل شيء، علاقات ومجتمعات وسياسات، من خلال عينين عليهما منظار يُنمّط كل شيء ويصبغه تلقائيّاً بصبغة الغرب، فيفكرون بعقله، ويرون بعيونه، فهؤلاء السُّفراء الغربيّون حاملو أسماء المسلمين:

"يعرفون عن تاريخ إنكلترا وفرنسا أضعاف ما يعرفون عن تاريخ المسلمين أو العرب.. وهم يعرفون عن تاريخ الكنيسة الأوروبيّة وما بين مذاهِبها من خلاف، أكثر مما يعرفون عن تاريخ الفقه الإسلامي.. وهم يعرفون أعلام الفكر الأوروبي وشعرائه ولا يعرفون من أعلام الحضارة الإسلامية والعربيّة إلا قليلا"

(محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر 1/239)

وجلّ الطبقات العُليا في البلدان العربيّة، ومن يمسكون بمقاليدها ويتحكمون في وجهتها وتوجهاتها، ويمنحونها سماتها وملامحها، ويسيطرون على وعي عموم الناس فيها، في السياسة وشؤن الحكم، وفي المال والاقتصاد، وفي الإعلام والتعليم، وفي الثقافة والآداب والفنون، يتعلّمون في مدارس غربيّة، تصنعهم وتعبّئهم بلغة الغرب وتاريخه وقيمه وأخلاقه وسلوكه وفهمه للوجود والحياة وأنماطه للعلاقات الاجتماعيّة، يلي ذلك إرسالهم لاستكمال غسل عقولهم في جامعات الغرب، وبالعيش في مجتمعاته.

وجلّ هذه النخب والطبقات العُليا المسيطرة على مسار الدول العربيّة ومقاليدها في مختلف المجالات، الأفكار الرئيسيّة التي تم تعبئتهم بها في معامل الغرب وتملأ أذهانهم ونفوسهم، والتي يصرّح بعضهم بها ويسرّبها آخرون في ثنايا ما يكتبون وما يقولون وما يفعلون وما يتّخذونه من سياسات وما يصدِرونه من قرارات، هي أنّ القرآن كتاب تاريخي يخاطب زمانه ومكانه فقط، وأحكامه كانت تناسب عصر من يركبون الجمال والحمير، ولا تناسب زمان التكنولوجيا والصعود إلى القمر، والعرب الذين قدِموا إلى شمال إفريقيا بالإسلام غزاة أفقدوها استقلالها وحوّلوها إلى مجرّد ولاية في إمبراطوريّتهم، كمن سبقوهم من الفرس والإغريق والرّومان، وكذلك المماليك والعثمانيّون، وتاريخ شمال إفريقيا منذ قدموا إليها ظلام ورجعيّة، والبقعة المنيرة الوحيدة في هذا التاريخ هي الدولة الفاطميّة، والحملة الفرنسيّة البريطانيّة هي التي أخرجتها من الظلمات إلى النور، بفتح أعين شعوبها على الغرب، والغرب هو الحضارة، واللحاق به والدوران حوله واستلهامه في كل شيء هو الغاية ومحور حركتهم وهدفها، وذلك لأن **"المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيّه ونحلته وسائر أحواله وعوائده"**

(عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، تحقيق حامد أحمد الطاهر ص192).

والعلامة الرئيسيّة للتحضّر واللحاق بركب الغرب هي تحرير المرأة.

وهؤلاء السفراء تصبح مهمتهم، تلقائيّاً، هي تحويل المجتمعات الاسلاميّة التي قدموا إليها إلى صورة من المجتمعات الغربيّة التي وفدوا منها، لأنه في ظل الدماغ الغربي والنفسيّة الغربيّة، حيث يرون ويحكمون من خلالهما، المجتَمعات العربيّة الإسلاميّة هي مجتمعات غربيّة في طورها المتخلّف، ولذلك فرسالتهم المقدّسة هي نقل هذه المجتمعات من هذه المرحلة المتخلّفة التي هي نفسها المرحلة المتخلّفة التي مرّ بها الغرب (الذي علِموا تاريخه)، إلى المرحلة المتمدّنة التي تليها، والتي هي حينئذ صورة مطبوعة في أذهانهم ستصل إليها هذه المُجتَمعات عبر جهودهم كما وصل الغرب.

فمسألة المرأة وباقي فروع الشجرة لكي يتم شتلها وإعادة زرعها لتصبح قضيّة تحتاج إلى حلّ هم يملكونه، تمر بمراحل:

اختراع القضيّة أو إعادة انتاجها في الصورة الغربيّة، وإعادة إنتاج القضيّة يتم عبر عدّة عمليّات متتابعة ومترتّبة إحداها على الأخرى في ذهن السفير الغربي ولا يظهر منها في النهاية إلاّ الجزء المرئي القابل للظهور وهو القضيّة نفسها.

رأيتَ فيما سبق، أن القرآن ينسب وسوسة الشيطان لـ (آدم) وليس لـ (حواء)، ثم إنهما أكلا منها معاً ودون إغواء أحدهما للآخر، وأن المرأة لم تكن المسؤولة وحدها، ولا هي التي أغوت (آدم) ليأكل، وتحريف هذه الحقيقة هو النبع الذي تدفّقت منه فكرة أن المرأة سبب خروج الرجل من الجنّة، وأنها رسول الشيطان، ومهمتها في الوجود الغواية.

فإليك نموذجاً من بلاد العرب على الوعي المختل والتكوين المشوّه، تعرِفُ منه أصل مسألة تحرير المرأة، وعلى أي أساس وبأي شيء تكوّنت حركتُها، وتُدرِك به أنّ خريطة الوجود المُحرَّفة، الجرثومة التي أطلقها بنوا إسرائيل في وعي البشر ومجتمعاتهم، هي النّبع الذي يتدفّق منه فساد العقائد عبر العصور، وفي كل الأمم والشعوب.

أشهر داعية لتحرير المرأة ومساواتها التامّة بالرجل، وأشدهنّ شططا في القرن ال21 دكتورة (نوال السعداوي)، وكل كتب (نوال السعداوي) ونظرياتها وأفكارها عن تحرير المرأة قائمة على خريطة الوجود البني إسرائيليّة، وليست سوى بناء عليها أو امتدادات لها، ففي كل كتبها بلا استثناء تبدأ بسرد قصّة الخلق البني إسرائيليّة وما فيها من إغراء (حوّاء) لـ (آدم) بالأكل من الشجرة وتحميلها وزر اخراجه من الجنّة إلى منفاه ومحلّ عقوبته في الأرض، ثم تشرع في سبّ الأديان جميعاً، والتّنظير لطرحِها والتخلّص منها واحلال نظريّة التطوّر محلّها، لأنّها بما نسبَته لـ (حوّاء) كانت السبب في جعل المرأة في مرتبة أدنى من الرّجل وفي ازدرائها عبر التّاريخ كله، بل وتتطاول على الذّات الإلهيّة لأنّ الجرثومة البني إسرائيليّة بالت في رأسها أنّ الله تجنّى على الأنثى ونسب الشر لها ولم ينسبه للذّكر.

فإليك من كتابها "الرجل والجنس" هذا الحوار الذي دار بينها وبين أبيها، وهي في السنة الأولى من المرحلة الثّانويّة حول ضمير المذكّر وضمير المؤنّث، لكي تعرِف منه أنّ اِلحادها وتشوّه وعيها والخلل في تكوينها، وشطط كل ما يدركه هذا الوعي المشوّه والتكوين المختلّ، ليس سوى بعض من أثار سريان الجرثومة البني إسرائيليّة في بلاد العرب وضربها لعقول أهلها ونفوسهم.

" وقال أبي: ...وآدم كان أكثر سُموًّا من حوّاء لأنّه كان الأصل، أمّا حوّاء فلم تكن إلاّ أحد أضلاعه، وهي التي أغرته أن يأكل من الشجرة المحرمة.

قلت بدهشة: فكيف تكون حوّاء جزءاً صغيراً من آدم وهي الأضعف ومع ذلك تصبح هي الأقوى فجأة فتقنعه بأن يخالف الله ويسمع آدم كلامها، حوّاء ليست هنا ضعيفة بل إنّها قويّة وأقوى من آدم، وهي الطرف الإيجابي وآدم هو السلبي.

وقال أبي: نعم ولكن إيجابيّة حوّاء كانت في الشر فقط..لولا حوّاء لبقي آدم في الجنّة، وقد نُسِبَ الشّر إلى حوّاء ونُسِبَ الخير إلى آدم، وهذا هو السبب في مخاطبة الله بضمير المذكّر: هو.

قُلتُ لأبي: ولكن حوّاء لم تكن السبب في الشر، لأنّ اِبليس هو الذي أشار عليها أن تغوي آدم بالأكل من الشجرة المحرّمة، أي إنّ اِبليس هو سبب الشرّ في العالم، واِبليس مذكر فلماذا أُلْصِقت تهمة الشرّ والشّيطنة وإغراء آدم لحوّاء؟

قال أبي: لأنّ حوّاء هي التي أغرت آدم. "

بعد أن قرأت هذا الحوار الطّريف، الذي يُشخّص لك حقيقة مرض (نوال السعداوي)، ويعرّفك بالفيروس الذي شوّه عقلها ونفسها ووجدانها، فلا ينبغي أن يكون قد فاتك أنّ أباها، الذي يبدو لك أنّه يحامي عن الإله، لا يفرق عنها في شيء، فهي تتّهم وهو يبرّر ويفسّر، وكلاهما عقله وتكوينه محصور داخل خريطة الوجود البني إسرائيليّة وما فيها من جراثيم وليس في وعيه غيرها.

يقول عز وجل:

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ البقرة

أمر الله عز وجل (آدم) أن يأكل من ثمار الجنّة ونعيمها، ونهاه ابتلاءًا واختباراً له أن يقرب شجرة لم يعيّن القرآن اسمها ولا نوعها ولا ما تثمره.

هي شجرة فقط ونوعها لا علاقة له بما حدث، ولا يُغيّر معرفته أو جهله من فهمه شيئاً.

أمّا في الخريطة المحرّفة، فالشجرة حُددت بأنها للمعرِفة، وبالتالي فنهي الإله عن الأكل منها يعني بالضرورة أن الإله عدوّ للمعرفة وحرّمها على الإنسان.

فإليك (نوال السعداوي) مرة أخرى، في حوار من كتابها "كسر الحدود"، وهذه المرّة مع والدتها، لتعرف منه نوع الشجرة المحرّمة التي حدثتك عنها مع أبيها.

" في شهادة ميلادي كتبت أمي اسمي

حواء.

قال لأن كل شيء حي يخرج من حواء؛

لأن الفضيلة والشرف والخير يخرج من حواء،

لأن حواء هي الأولى التي ذاقت طعم المعرفة،

ولأن زوجها آدم تخلّف عنها،

ولم يذق من المعرفة شيئًا إلا بعدها،

وبعد أن ألحّت عليه وشجعته.

لولا حواء ما جاءت الإنسانيّة،

وما جاءت المعرفة.

لماذا إذن تلقّى آدم من ربِّه كلمات فتاب عليه،

بالمفرد وليس بالمثنّى ليشمل حواء معه؟! " (ص127)

إنّ الله في القرآن تاب على (آدم) وحده ولم يتب على (حواء) بسبب إغوائها لـ (آدم) وأكلها من شجرة المعرفة!!

فهل أدركت الآن لماذا هو مشوّه وعي هذه العائلة، ولماذا هي مختلّة أذهانهم ونفوسهم، لأنّ ما تكوّنت به ويحكمها ويتحكّم في كل ما يتكوّن فيه وتنتجه ليس سوى خريطة الوجود البني إسرائيليّة.

وبما أنّ الطيور على أشكالها تقع، فإليك نموذجاً أكثر دِقّة وأشدُّ أميّة من (نوال السعداوي)، في تحديد نوع الشجرة والثمرة التي تثمرها.

في قصيدته "قصيدة التفاحة" التي يغنيك اسمها عن فحواها، يقول الشاعر السوداني الكبير:

"ذكروا فيما روت الأنباء	**أن التفاحة أصل الداء (؟؟)**
جعلت هابيل وقابيل	**أول أخوين من الأعداء**
يا ملهمة الحسن الأوفى	**يا ينبع بدايات الأغراء (!!)**
يا كاتمة السر الأخفى	**يا أم الخلق بلا إستثناء**
ما انفك اللغز يحيرنا	**قولى وأبينا يا حواء**
هل كانت فاكهة حقا	**أم أن الأمر يتيه خفاء"**

(عبد الكريم الكابلي، قصيدة التفاحة)

والآن نعرِّفك من أين أتت التفّاحة التي يمتلئ بها هذا الدماغ المختلّ، بل والكثير من الأدمغة المسلمة التي لا تميّز يمينها عن شمالها في أمور دينها.

يقول المتخصص في الدراسات اليهوديّة، دكتور (بهاء الأمير) في كتابه "شفرة سورة الإسراء: بنوا إسرائيل والحركات السريّة في القرآن":

" كون الشجرة التي مُنع آدم من الأكل منها في الجنّة كانت شجرة تفّاح معلومة لا أصل لها، ولا وجود لها لا في سفر التكوين في التوراة العِبريّة، ولا في أيّ ترجمة معتمدة لها، وإنّما مصدرها يهودي إغريقي اسمه أكويلا بونتيكس Aquila ponticus، كان يعيش في القرن الثاني الميلادي، وقام بترجمة العهد القديم ترجمةً رِوائيّة أدبيّة لم يلتزم فيها بالنصّ العبري، وإنّما أدخل فيها خياله وحوّل الترجمة إلى قِصص وحكايات، فكان مِمّا أدخله في الترجمة من خياله أنّ الشجرة المحرّمة في الجنّة كانت شجرة تفّاح. " (ص87)

وبعد ذلك فالله عز وجل هو الذي منح الإنسان العلم والمعرفة، وأمره سبحانه وتعالى بهما، وهو الذي وهبه التفكير وأودعه أدواته، وهو عز وجل الذي علّمه اللغة ووهبها له لكي يتمكن من الكشف والإبانة عن عِلمه وأفكاره، ومن نقلها وتوارثها ومراكمة آثارها.

وليس كما في الخريطة المحرّفة للوجود، فالإله هناك منع الإنسان من العِلم وحرمه من المعرِفة، وصارت العلاقة بين العِلم والدين في الغرب، علاقة خصومة وخلاف لا سبيل إلى تخفيفها وإزالته سوى بإعراض أحدهما عن الآخر.

فإليك مرّة أخرى ما تعرف به أي خريطة وجود تلك التي كونت الوعي في بلاد العرب وتحكمه وتتحكّم فيما يدركه وما ينتجه في العصر الحديث.

يقول عميد الأدب العربي (طه حسين) في كتابه "من بعيد":

"والحق أن هذه الخصومة بين العلم والدين، كما قلت في غير هذا الموضع، قديمة يرجع عهدها إلى أول الحياة العقليّة الفلسفيّة. والحق أيضاً أن هذه الخصومة بين العلم والدين ستظل قوية متصلة ما قام العلم وما قام الدين، لأن الخلاف بينهما، كما سترى، أساسي جوهري، لا سبيل إلى إزالته ولا إلى تخفيفه إلا إذا استطاع كل واحد منهما أن ينسى صاحبه نسياناً تامّاً، ويعرض عنه إعراضاً مطلقاً" (ص109)

ابن الأزهر الذي يلقبونه بعميد الأدب في بلاد العرب يؤمن أن العلم والدين نقيضان لا يجتمعان، وأن السبيل الوحيد لتخفيف الخصومة بينهما، والتي يتوهّم ويوهم قارئه أنّها أزليّة، هو إعراض كل منهما عن الآخر إعراضاً تاماً!!

فإذا أردت أن تعقِل عبارة السيّد العميد في كتابه هذا، فما عليك سوى أن تضع كلمة الإله مكان الدين، وشجرة المعرفة بدل العِلم، حينئذ ستدرك أن الذي يخاطبك في هذه الفقرة هو (حواء) التوراتيّة!!

إنّ الأمر بالهبوط إلى الأرض للإنسان الأوّل، الذي لم يكن عقاباً كما بيّنا ذلك سابقاً، كان بعد توبته وبعد قبولها، وبعد أن صار بتوبته هذه في هداية الله عز وجل ونوره.

ومن المثير للانتباه أن القرآن لا يذكر الأمر لـ (آدم) عليه السلام وزوجه بالهبوط إلى الأرض إلا بعد ذِكر توبته وقبولها:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ﴾ البقرة 38

وفي سورة طه:

﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ﴾ 123

ثم كالعادة، إليك مثالان، أحدهما لشاعرة كبيرة من العراق، والثاني لكاتبة وناشطة نِسويّة من مصر، لكي تعرف من هذه الأمثلة أن التوراة وثقافتها هي الرافد الذي تكوّن به العقل العربي والبناء الذهني والنفسي لبلاد العرب في العصر الحديث، عبر تسرُّبِها في الأدب والشعر والثقافة الشعبيّة، بل وعبر تسربها في المناهج الأكاديميّة.

فإليك المثال الأول:

في قصيدتها السّاخِطة "آدم وفردوسه"، من المطوّلة الشعريّة "مأساة الحياة وأغنية للإنسان"، تتساءل الشاعرة العراقيّة (نازك الملائكة) في حيرةٍ شديدة وحسرةٍ مديدة عن شيء نترك لك أن تعرفه بنفسك.

"حسبُها أنّنـــا دَفَعنا إليهـــا

ثَمَنَ العيشِ حَيْرَةً ودموعا

أيّ ذنبٍ جَناهُ آدمُ حـــتى

نتلقَّى العقابَ نحنُ جميعا

وليكن آدمٌ جَنَى حسبُهُ فُقْ

دانُ فردوسِهِ الجميل عقابا

أَوَ لم يَكْفِ أَنَّهُ هبط الأَر

ضَ ليُسْقَى آلامَها أكوابا

أو لم يكفِ أنهُ هبط الذُنْـ

ـيا طريداً من خُلْدِهِ الفَيْنَانِ

أو لم يكفِ أنّهُ عرَفَ الشرَّ

وقد كانَ طاهراً في الجِنَانِ

ليت شعري ماذا يَرُوقُ لعَيْنَيْـ

ـيهِ هُنا في انغلاقِ هذا الوجودِ

كيف ينسَى آفاقَ جنّتِهِ ما

ذا يغذّي حنينَهْ للخلودِ

كيف ينسَى الأَمسَ الطليق ليَهْنا

بحياةِ القيودِ والأَرْسانِ"

وكما ترى، فالكوليرا البني إسرائيليّة التي انتقلت إلى (نازك الملائكة)، عبر جامعة ويسكونسن ماديسون Wisconsin Madison الأمريكيّة التي درست فيها الأدب المقارن، هي السبب وراء كل هذه الحيرة والحسرة التي انتابتها.

وعبارة "**أو لم يكفِ أنّهُ عرفَ الشرّ**"َ، التي أشارت بها على ما فعله (آدم) في الملأ الأعلى، ليست سوى ترجمة شِعريّة لطيفة لعبارة "**هُوَذَا الإنسان قد صار كواحد منَّا عارِفاً الخير والشر**" (سفر التكوين 2،3)، التي أشار بها الإله على ما فعله (آدم) في قصة الخلق التوراتيّة.

وما بعد الهذي الذي قامت به في قصيدتها حين جعلت وجود الإنسان على الأرض سببه العقاب الإلهي، وحياة (آدم) عليها كلها شقاء وآلام وقيود وأرسان، فحَيْرتها الشديدة تنحصر في التحريف الذي وضعه ضحايا السَبْيِ في العراق قبل أكثر من 3000 سنة "**وَقَالَ لآدَم لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةَ التِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلاً لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكْ، بِالتَّعَبِ تَأكُلُ مِنْهَا أَيّامَ حَيَاتِكْ**"

(سفر التكوين 2،3)

فربما قلت لنفسك: هذه شاعرة واسعة الخيال لا تؤاخذ على ما تبدعه قريحتها، والشعر تتلاقى مياهه وتختلط أمواجه.

فإليك المثال الثاني:

في كتابها "تطوّر المرأة عبر التاريخ"، الذي افتتحته بالتأريخ للصراع الذي تتوهم أنه بين الرجل والمرأة، تقول الكاتبة النسويّة (باسمة كيّال) في مقدمتها لهذا الكتاب:

" وباعتقادنا أنّ هذه المشكلة قد وُلِدت مع الإنسان الأوّل الذي يُسمّى بالعُرف الديني والتاريخي آدم أبو البشر والذي وُلِدت من ضِلعه حوّاء ثم طُرِدَتْ معه من الجنّة وهبطا سويّاً إلى الأرض حيث تناسلا وأوجدا البنين والبنات "

هل في قِصّة الوجود الأولى كما رسمها القرآن الكريم صراع بين (آدم) و(حواء)، وفي أيّ سورة أو موضع فيه وجدت أنّ نزولهما من الجنّة إلى مقرّ خلافتِهما كان طرداً لهما.

ومما ركّزت عليه المؤرخة الأمينة في عبارتها هذه هو أن تذكر الطّرد مباشرة بعد خلق (حواء) وليس قبله، لكي يفهم البسطاء من أمثالك وأمثالنا أن (حواء) هي السبب في تلقّينا العقاب نحن جميعاً، كما في المثال الذي قبلها.

فإذا أَخْفَيْنا عنك أسماء كل هؤلاء السفراء الغربيّون الذين قرأت ما كتبوه، وحجبناها عنك ولم نعرّفك بها، والتي لم نذكر لك سوى الشهيرة والمعروفة منها، وطلبنا منك أن تخمّن ماذا تكون، فاختر إجابة للسؤال التالي:

هل هم:

1- مسلمون 2- يهود 3- مسيحيون 4- مسلمون عقولهم توراتيّة

والآن إليك مثالاً واضحاً لا لبس فيه تدرك به الفرق بين ما تثمره سيرة الإنسان الأوّل في خريطة الوجود الإلهيّة، وما تثمره سيرته المحرّفة في خريطة الوجود البني إسرائيليّة، وتعرف منه أيّهما التي تكوّن بها ذهن السفير الغربي وأقيمت عليها دعوته المزعومة لتحرير المرأة.

هل الأسرة والزواج إرشاد إلهي أم اكتشاف وابتكار بشري؟

إذا كان الزواج إرشاد والأسرة وضعاً إلهيّاً، فيكون هو وهي العلاقة الوحيدة الصحيحة بين الرجل والمرأة، وأيّ صورة أخرى لهذه العلاقة خطأ أو خطيئة.

أمّا إذا كان الزواج والأسرة ابتكاراً واختراعاً إنسانيّاً، فلا غضاضة ولا وِزر في أن يبتكر من شاء غيره وغيرها، وحينئذ تكون العلاقات الحرّة والشيوع الجنسي، بل والشذوذ لا غبار عليها، وهذا الاعتقاد هو بالضبط ما تنتجه خريطة الوجود المحرّفة في الذهن الذي فطم بها، لأنّ الإنسان الأوّل في هذه الخريطة خرج مطروداً من الملأ الأعلى بدون إرشاد أو هداية وغير مكلّف بشيء.

فإليك مالذي يخبرنا به الوحي وخريطة الوجود الإلهيّة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا١﴾

النساء (1)

ثم إليك أشهر نموذج على وعي العرب المشوّه الذي كوّنه التحريف ولا أثر فيه للوحي، وكأنّ الرسول الخاتم ما بعث والبيان الإلهي ما أنزل، فهذه هي مسيرة البشر كيف بدأت وكيف سارت عند (قاسم أمين)، وهي نفسها الفرضيّة التي فرّع منها وأقام عليها دعوته لتحرير المرأة.

يقول (قاسم أمين) إنّ علاقة الرجل بالمرأة عبر التاريخ مرّت بأربعة مراحل، كل مرحلة منها تواكِب طوراً من الأطوار التي مرّ بها المجتمع البشري، ففي المرحلة الأولى:

"كانت متروكة إلى الصّدفة. ولا تفترق عمّا يشاهد بين الأنعام. وكان الشأن إذا ولدت المرأة ولداً أن يجتمع القوم متى وصل إلى سنّ البلوغ، وينسبوه إلى أشبه النّاس به" (المرأة الجديدة ص13)

فالذي يعرفه (قاسم أمين) المِصري العربي المسلم عن البشريّة ويؤمن به هو أنّها بدأت بالانحلال والإباحيّة المطلقة والشيوعيّة الجنسيّة **"لا تفترق عمّا يشاهد بين الأنعام"**، بلا إرشاد ولا منهج ولا قواعد ولا قِيَم ولا أخلاق، والمرأة في هذه المرحلة، والتي وصفها بما قرأت، هي المرأة الحرّة.

وفي المرحلة الثانية:

"لمّا ودّع الإنسان بداوته، واتّخذ وطنا قاراً، واشتغل بالزراعة وُجِد نظام البيت، ومن أهم ما ساعد على تشكيل العائلة، أنه كان لكل عائلة معبودٌ خاصّ بها تختاره من بين أسلافها... وترتّب على دخول المرأة في العائلة حِرمانها من استقلالها" (المرأة الجديدة ص14)

فالزواج وتكوين الأُسر لم يكن سوى ابتكار من الإنسان اضطرّه إليه اشتغاله بالزّراعة وما واكب مرحلة حياته هذه من ظروف وملابسات، وانتقال المرأة من الإباحيّة إلى الزواج والوجود في أسرة داخل بيتها وبين أبنائها كان استعباداً لها!!

وممّا قاله الرائد المعتوه تعلم أنه لا يعتقد أن البشريّة بدأت بالإباحية والشيوع الجنسي فقط، بل وأنّها بدأت بالوثنيّة والشّرك، ثم كان أن اخترعت من بين ما اخترعت الألوهيّة والوحدانيّة!!

ثم يوجز المختلّ عقليّاً ونفسيّاً المراحل الأربع التي مرّت بها البشريّة في كلمتين، كما يقول، هكذا:

"عاشت المرأة حرّة في العصور الأولى، حيث كانت الانسانيّة لم تزل في مهدها. ثم بعد تشكيل العائلة، وقعت في الاستعباد الحقيقي. ثم لمّا قامت الإنسانيّة على طريق المدنيّة تغيّرت صورة هذا الرقّ، واعتُرِف للمرأة بشيء من الحقّ، ولكن خضعت لاستبداد الرجل الذي قضى عليها بأن تتمتّع بالحقوق التي اعتُرِف لها بها. ثم لمّا بلغت الإنسانيّة مبلغها من المدنيّة، نالت المرأة حريتها التامّة"

(المرأة الجديدة ص20-21)

فهل هذا الذي يفهم ويوقن أنّ الزواج ابتكار واختراع انساني، وهو استعباد للمرأة، وأنّ البشريّة بدأت مسيرتها بالإباحيّة والانحلال، وهي حريّة المرأة التي يريد بتحريرها إعادتها إليها، هل قرأ أو سمِع أو أخبره أحد يوماً أن ثمّة وحياً أُنزِل وفيه يُعرّف الله عز وجل البشر أنّه:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴿٢١﴾﴾ الروم (21)

وأنّ الزواج هو وضعٌ وإرشادٌ إلهي من قبل أن يوجد (آدم) على الأرض وتبدأ البشريّة مسيرتها:

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ البقرة (35)

وأنّ البشرية بدأت مسيرتها بإرشاد ومنهج وقواعد وقِيَم وأخلاق إلهيّة وليس **"لا تفترق عمّا يشاهد بين الأنعام"**:

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴿٢٦﴾﴾ الأعراف (26)

فمن أين جاء هذا الأحمق بهذه النظريّة التي قدّمها على أنّها حقيقة عِلميّة مطلقة!؟

الروافد التي كوّنت عقل نصير المرأة ونخب مصر الضّالة، كما رأيت بنفسك، كلها نبعت من التحريف وتدفّقت في عقولهم من خريطة الوجود البني إسرائيليّة.

فلا تعجب إذا علمت أنه منذ بداية القرن العشرين نَسَفَ الروّاد بوعيهم المشوّه كل قواعد المجتمع، وهتكوا نسيجه، وأذابوا قِيَمه، ومحوا أخلاقه، وشوّهوا وعي أهله جميعاً.

وإذا تساءلت: كيف تشوّه وعي هذه النخب ومن أين؟

فالإجابة: عبر نظم التعليم التي أقامها الفرنسيس والبريطان، والجامعات التي شرّعوا أبوابها أمام الأميّين من بلاد العرب، والبعثات التي أرسلوها إلى بلادهم ليصنعوا رؤوس هذه النخب في معاملها.

5
ـ الإسقاط المتعامد والتلفيق المتعمّد ـ

السفير الغربي، ولأنّه غربيٌّ ويعلم تماماً أوضاع المرأة في الغرب والمراحل التي مرّت بها وكيف كانت محبوسة مستعبدة (حقيقة لا مجازاً) وليس لها أهَلِّية ولا كيان، ولا تُعدُّ إنساناً أصلا (راجع ما قاله قاسم أمين عن المسألة التي ناقشها مُجمّع "ماكون" عام 538م)، يقوم بإسقاط ما يعلمه وما هو مخزون في ذهنه عن المجتمع الغربي القديم على المجتمع المسلم الذي وفد إليه من الغرب، فيرى في هذا المجتمع المسلم صورة حيّة من المجتمع الذي هدمه الغرب وقام على أنقاضه، في تجاهلٍ تام للرؤية والأصول التي كانت أوضاع المرأة إفرازاً لها، سواء في الغرب القديم أو الجديد، فيصبح كل شيء في المجتمع المسلم أو علاقة أو سلوك اجتماعي هو طبعة موهومة في ذهن السفير من الطبعة الأصليّة التي يرى من خلالها.

فمثلا ينظر السفير إلى المرأة فيراها محجّبة ولا تختلط بالرجال أو يرى زوجها يحرص على مرافقتها أو يغار عليها أن يحادِثها غيره من الرجال، فينتقل من هذه السلوكيّات والأوضاع إلى مثيلاتها الغربيّة القديمة، ثم يعود بتفسيرها الغربي إلى الأوضاع الإسلاميّة التي بدأت بها حركة ذهنه ويقوم بتركيب التفسير الذي عاد به عليها، فتصبح المسألة أنّ الرجل يخاف من المرأة ولا يَأْتَمِنُهَا وهو غير مطمئنّ إليها لأنّه لا يثق فيها مخافة أن تُلَوِّث شرفه وعرضه.

فإعادة التفسير عمليّة ذهنيّة غير مرتبطة بالواقع الحقيقي ولكنّها مرتبطة بالمعنى الذي يحمله هذا الواقع في صورته الغربيّة في ذهن السفير، وهو ما يجعل الواقع الذي يعالجه وينتقده واقعاً موهوماً، لأنّ السفير وهو يركّب التفسير الذي جاء به ذهنه من الواقع الغربي على الواقع الإسلامي، يفكك جزئيّاته ويعيد ضمّها ونُظُمها وتركيبها ويضع عليها من "الرتوش" والزيادات اللاصقة بذهنه من الواقع الغربي

ما يجعله نسخة من هذا الواقع الغربي والذي يطمح إلى تغييره ويرى نفسه من خلاله (فولتير Voltaire) و(ديدرو Diderot) و(روسّو Rousseau)، أمّا التفسير الحقيقي للواقع الحقيقي الذي لا يراه، وإنّما يرى صورة موهومة منه، فلن يرد على عقله أبداً.

ويمكنك أن تدرك مدى وهم الواقع الذي يختلقه السفير الغربي في ذهنه والتفسير الذي يفسّر به هذا الواقع الموهوم، إذا علمت كيف أنّ باحثة راهبة غربيّة تمكّنت بالمقارنة ومن خلال وعي يقظ وإدراك سليم وفهم عميق لأصول القضيّة (على الجانب الغربي على الأقل) تمكّنت من تخليص الواقع الإسلامي من الواقع الغربي وتفسير كل منهما التفسير الصحيح في إطار الفصل التّام بين الواقعين والرؤيتين والتاريخين.

فـ (كارين أرمسترونج Karen Armstrong) الرّاهبة الغربيّة، وهي أستاذة مقارنة الأديان في أكسفورد، أدركت ورأت ما لم يستطع إدراكه ورؤيته كل "المحرّرين" المزوّرين في بلاد الإسلام، وهو أنّه:

"بينما حجز المسلمون نساءهم تقليديّاً في بيوتهم تقديراً لهنّ ولأنهم اعتبروهنّ حرماً خاصاً because they owned and valued them، حبس رجال الغرب النصراني نساءهم خارج حياتهم لأنهم يكرهونهنّ، وقاموا بنفي المرأة إلى العزلة والعالم المنفصل. Because they hate them, exilling women to a lonley, separate world"

(Karen Armstrong, The Gospel According To Woman, p72)

وأكبر دلالة وأكثر طرافةً في تأكيد اختلاف هذا الواقع الموهوم بإعادة التفسير بالرُّتُوش والاضافات والزّوائد الغربيّة التي يلحقها السفير بالواقع الحقيقي داخل ذهنه، هو السفير نفسه، فسفير الغرب الذي رأى المرأة في الواقع الموهوم داخل عقله:

"مغمورة في شؤون ليس لها في ميله (زوجها) **نصيب حتّى أنّها في الأمور التي هي من عملِها وترى أنّها خُلِقت لأجلها لا يرى منها زوجها ما يروق نظره، فأكثر النساء لم يتعوّدن على تسريح شعورِهنّ كل يوم، ولا على الاستحمام أكثر من مرّة في الأسبوع، ولا يعرفن استعمال السِّواك، ولا يعتنين بما يلي البدن من الملابس"**!! (قاسم أمين، تحرير المرأة ص26)

هو ذات السفير الذي كان يراها قبل دخول عامل حفّاز أخرج كلّ آثار الغرب فيه:

"أقرب شكلاً إلى العاديّة منها إلى الجميلة ولكنّها تتميّز بوجه عام وخصوصاً في نضارة الشباب بجمال ممتاز يُذكر في انسجام الأعضاء وقوّة الجسم، وأنّه حقيقة مقتنعة بمنظر ترتاح له العين عندما نراها تمشي معتدِلة صدرها إلى الأمام وخصرٌ ملفوف وعيونٌ يشِعّ منها السِّحر والشيء الملحوظ فيها بصفة خاصّة هو عيون سوداء واسعة فيها نعومة جذّابة كأنّها عيون الملائكة، وفيها تعبير يفهمه الانسان قبل أن تتكلّم" (قاسم أمين، المصريّون ص68)

فأيّ الصورتين الواقع وأيّها الوهم أم هو واقع حوّله إلى صورة موهومة في ذهنه؟

يقول أحد المفكرين عند تحليله للوضع العِلمي والديني في بلاد الإسلام:

" لمّا كان العِلم في أول نشأته..كانت قوّة العِلم ضعيفة بجانب قوّة الدين فتغلّب الفقهاء على رجال العِلم وزَجُّوا بأنفسهم في المسائل العِلميّة وانتقدوها.. أخذوا يؤولون الكتاب والأحاديث تأويلات استنبطوا منها أدِلّة على فساد المذاهب العِلميّة.. ومازالوا يطغون على رجال العِلم ويرمونهم بالزّندقة والكفر حتّى نفر الكل من دراسة العِلم وهجروه (كل ذلك عن عالم الإسلام لا النصرانيّة الكَنَسِيّة!!) **...التمدّن الإسلامي بدأ وانتهى قبل أن يكشف الغطاء عن أصول العلوم. " !!!**

والمفكر الذي اقتبسنا لك تحليله هو قاسم أمين نفسه**!** (المرأة الجديدة ص86-87)

هذا نموذج مثالي على التدليس والاختلاق الموهوم للتاريخ الذي لا علاقة له بالتاريخ الحقيقي ولا وجود له سوى في ذهن مؤلفه، فأين في طول التّاريخ الإسلامي وفي أي مكان داخل هذا التاريخ، اصطدم الفقهاء بعلماء الطبيعة أو كفّروهم أو رموهم بالزّندقة**!؟**

هذا كله تاريخ صحيح في حالة واحدة، هي نزع "**الفقهاء**" ووضع "**البابوات**" مكانها وبعد ذلك فهو نص مثالي لبيان كيف يعيد السفير الغربي إخراج المناهج والتّاريخ الغربي محمولة على ساحة قضيّة التحرير.

وبعد التفسير المزيّف للواقع الوهمي الذي يختلقه السفير الغربي في ذهنه يبدأ في استخلاص نتائج هذا التفسير وبلورتها في ظل عمليّة الإسقاط المستمرّة ليصف ما أصبح موجوداً ومستقرّاً في عقله، ويكون توصيفه هذا هو عنوان القضيّة التي اخترعها في ذهنه.

فالمرأة لا تخالط الرجال وترتدي الحجاب وتفسير ذلك كراهية الرجل لها وخوفه منها والخلاصة أن المرأة مستعبدة مقيّدة فاقدة الحريّة ناقصة المدنيّة موضوعة في منزلة أدنى من الرجل وتحت سيطرته المطلقة، ثم تأخذ القضيّة شكلها النهائي من خلال تصنيف المرحلة التي هي هذه أوصافها وتحديد موقعها من التاريخ هو حلقات متراكمة في رأسه، فالمرأة مستعبدة ناقصة الحريّة والمدنيّة وأدنى من الرجل وهذا يصنّف المرأة ويضعها في مرحلة ما قبل المدنيّة والتقدّم التي هي المرحلة التي عايشها ولابسها السفير في الغرب.

ومن ثم تصبح رسالته المقدّسة ودوره الطبيعي في ظل هذا الإنتاج للقضيّة في صورة أصلها الغربي، هو حلّ القضيّة بتسييرها قسراً في نفس الطريق الذي سارت فيه الطبعة الأصليّة الحقيقيّة، والوصول إلى نفس النتائج والصورة التي وصلت إليها، والتي تكون حينئذ صورة ونتائج سابقة التجهيز معروفة سلفاً ومحدّدة القسمات والملامح، ولن تكون المرأة جديدة إلاّ إذا بلغتها، وبذلك تصبح هذه القضيّة:

"الدّاء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه، وليس من دواء إلاّ أن نربّي أولادنا على أن يعرفوا شئون المدنيّة الغربيّة ويقِفوا على أصولها وفروعها وآثارها."

(قاسم أمين، المرأة الجديدة ص90)

6
ـ العقيدة التطوريّة وتأليه العلم ـ

التطوّر هو الوصف التّاريخي لما مرّ به الغرب وصار إليه، والإنسان هنالك وضع مسيرته وتاريخه محلّ النصّ في تفسير كل ما يتّصل به فرداً أو جماعة، وذلك بافتراض سلّم تطوّري تأتي فيه كلّ درجة أرقى من سابقة لها أدنى في ميزان العقل وأسبق منها زمنيّا، وأصبح التفسير التطوّري لكل شيء هو العقيدة الجديدة للغرب التي لا يمكنه التخلّي عنها، وهذا التفسير، الذي نما وازدهر على أنقاض النصوص التوراتيّة-الانجيليّة في الغرب، لا محلّ له في العالم الاسلامي على الاطلاق، في ظل التفسير القرآني للخلق والوجود، إلاّ بعد مناطحة هذا الطّود القرآني المعصوم الرّاسخ الذي يدق أعناق من يناطِحونه.

لكن لأنّ النصوص عند سفراء الغرب هي التوراة والأناجيل لا القرآن، أو بصورة أدقّ القرآن عندهم هو النصوص الغربيّة في ظلّ عمليّة الاسقاط الدائمة، لذا فقد أصبح التطوّر عقيدتهم وتفسيرهم للوجود والاجتماع، بل والخلق في التاريخ الغربي والمناهج الغربيّة المحشوّة في أذهانهم "**هم ينكرون عليها حقّها في الحريّة ويأبون عليها التطوّر الاجتماعي والسير على قانون النشوء والارتقاء**" (أحمد لطفي السيّد، المنتخبات 1/228)، "**أنتِ ثمرة ألف مليون سنة من التطوّر**" (سلامة موسى، المرأة ليست لعبة الرّجل ص12)، "**ولعلّ هذه الصفة والميزة للحمل هي التي ساعدت خلال التطوّر من الثديّات إلى الإنسان أن تحافظ الطبيعة على تلك القدرة الجنسيّة في المرأة**"(نوال السعداوي، الأنثى هي الأصل ص57)

بناءً على ذلك كان طبيعيّاً أن يُفَسَّر حجاب المرأة وعلاقة الزواج بينها وبين الرجل وظهور العائلة ودخولها فيها ووقوعها بذلك تحت سيطرة الرجل، بأنّه أثر من آثار الأمم الوحشيّة ونتيجةً للتطوّر والعوامل الاقتصادية، وهو التفسير الذي ذكره كل من تكلّم عن المرأة بين (قاسم أمين، سلامة موسى، إسماعيل مظهر) وجعلوه محور المسألة ومحطّة البداية وانشاء القضيّة وتحديد حلِّها في تشابه وتطابق مُحيّر وكأنّهم ينقِلون واحداً من الآخر أو كأنّهم جميعاً يغرفون من مصدر واحد دون أن يذكروه!

أمّا هذا المصدر الواحد الذي سرقوا منه جميعاً هذا التفسير الوضعي التطوّري الذي جعلوه عقيدة يؤمنون بها وبديهة ينطلقون منها ومحوراً للمسألة كلِّها، فهو كتاب "أصل العائلة والملكيّة الخاصّة والدّولة Der Ursprung der Familie, des Privateigenthums und Staats" الصادر عام 1884، قبل كتاب "المرأة الجديدة" بستة عشر سنة، لـ (فريدريك إنجلز Frederik Angels) رفيق (ماركس Karl Marx)، والذي كان أكثر أمانةً من رُوّاد حركة "التزوير" سفراء الغرب، فذكر أنّه استقى تفسيره من أبحاث العالم الانجليزي في الأنثروبولوجيا (لويس مورجان Lewis Morgan) والتي نشرها في كتابه "المجتمع القديم Ancient Society" الصادر في لندن سنة 1877.

وكل ما ذكره (قاسم) الغير أمين في كتابه "المرأة الجديدة" عن مسألة التطوّر ونُشوء العائلة وأصل احتجاب المرأة وكذلك عن مراحل المدنيّة الأربع وعن الزواج الأخلاقي القائم على التوافق ومساواة المرأة للرجل في طبقات الدنيا (البروليتاريا) والهُوّة التي بينهما في الطبقات المُتمدِّنة (البورجوازيّة)، كل ذلك سرقه من كتاب (إنجلز) لفظاً ومعنى وشرحاً تفسيراً واستدلالاً!!!

وما فعله (قاسم أمين) مناسبة لأن ترى نموذجاً على التزوير وكيف يشيع وينتقل من منابعه، ثم تتكوّن له وضدّه الفِرَق، وتثور من حوله المعارك عند مصبّاته، دون أن ينتبه أحد إلى تعقّب أصله ومصدره، وفي كشف هذه الأصول والمصادر فضح هاتيك الأباطيل.

وهي أيضاً مناسبة لأن ترى كيف كان الأميّون في البلاد العربية بعد استيلاء الغرب عليها، واستيطانه لعقولهم وإعادة تصنيعها وتعليبها طبقاً للمواصفات القياسيّة الغربيّة، كيف كانوا ومازالوا محاضن للضلالات وقنوات لبثّها وإشاعتها.

ففي سنة 1879 نشر السياسي الاشتراكي (أوغست بيبل August Bebel)، أحد أبرز مؤسسي الحزب العمّالي الديمقراطي بألمانيا SDAP، كتاباً عن تحرير المرأة عنوانه "المرأة والاشتراكيّة Die Frau und der Sozialismus"، ولجراءة الأفكار التي احتوى عليها هذا الكتاب فقد تم حظره ومنعه من التداول في كامل البلاد الألمانيّة، وفي العديد من الدول الأوروبية الأخرى، إلاّ أنّه وبعد اكتساح ألمانيا من قبل الاشتراكيين والشيوعيين فقد عاد إلى النشر، وهذه المرّة بنسخ عديدة حيث أثار في المجتمع الألماني جدلا لم يسبق له مثيل في مسألة المرأة، وهو ما أدّى إلى ترجمته إلى العديد من اللغات الأجنبيّة.

وأفكار كتاب الألماني (بيبل) هذه هي التي سرقها أحد كبار الأمّيين في تونس، ونسبها لنفسه، ونشرها باسمه وهو يزعم أنه أتى بما لم يستطعه الأوائل، بعد أن وضع الإسلام والمجتمع التونسي مكان المسيحية والمجتمع الألماني، في كتاب قامت حوله إحدى أشهر المعارك الدينيّة والفكرية في تاريخ تونس الحديث.

والأمّي الذي سرق ما قاله الألماني (بيبل) وقال إنّه من بنات أفكاره، هو النقّابي (الطاهر الحدّاد) الذي صيّروه نصيراً للمرأة، وكتابه الذي قامت حوله المعارك، وجعلوه من أجله من رُوّاد التجديد وأعلام الاصلاح الفكري والاجتماعي، وهو ليس إلاّ قناة لتصريف ما تغوّطه الاشتراكي (بيبل)، هو كتاب "امرأتنا في الشريعة والمجتمع"، الذي صدر سنة 1930.

وربّما تتعجب سائلا: مالذي جمع (قاسم أمين) الليبرالي بـ (إنجلز) الشيوعي؟ وكذلك مالذي جمع التونسي (الطاهر الحدّاد) بالألماني (أوغست بيبل)؟

وسيزول عجبك وتعرف من الذي عرّف الأوّل بالثّاني وغرس أفكار الرّابع في رأس الثّالث، حين تعلم أنّ "**قاسم أمين كان عضوا في محفل كوكب الشرق الماسوني في القاهرة، وأن فريدريك إنجلز كان ماسونيا من الدرجة الحادية والثلاثين في محفل إنجلترا الأعظم!**"

(بهاء الأمير، شفرة سورة الإسراء ص126)

وعند صدور كتاب "المرأة الجديدة" سنة 1900م كان كتاب (إنجلز) قد طبع في أربع لغات، منها الإنجليزية والفرنسية، والأخيرة هي اللغة التي يتقنها السفير.

وأنّ أفكار (بيبل) التي وضعها (الطاهر الحدّاد) في كتابه إنّما انتقلت إليه عبر رفيق دربه (محمد علي الحامي)، مؤسّس أوّل تنظيم نقّابي في تونس، لأنّ الأخير درس في جامعة هومبولت الألمانيّة ببرلين Humboldt Universitat zu Berlin سنة 1922، وهذه الظرفيّة الزمانيّة والمكانيّة هي التي أخبرناك بانتشار كتاب"المرأة والاشتراكيّة" وشهرته فيها بشكل كبير، كما أنّ الأساتذة الذين كونوا رأسه في هذه الجامعة كانوا جميعاً من الاشتراكيين والشيوعيين، أبرزهم اليهودي (غوستاف ماير Gustav Mayer) الذي ألّف سنة 1920 كتاباً عن حياة (إنجلز) وأفكاره تحت عنوان "فريدريك إنجلز: سيرة ذاتيّة Fredrich Engels : A Biography "، و(أوغست بيبل) نفسه اعتمد في كتابه على أفكار (إنجلز) بخصوص المرأة والعائلة.

وما ذكرناه لك الآن بخصوص (قاسم أمين) و(الطاهر الحداد) هو صفة تنطبق على نموذج ومثال لطراز شائع في البلدان العربيّة من الكتّاب، ومن يسمّون أنفسهم مفكرين أو مثقفين أو مجددين، وهو الطراز الذي شاع في البلدان العربيّة ويتصدّر منابرها التعليميّة والإعلاميّة والثقافيّة والفكريّة منذ وطئ اليهود وأتباعهم من

الحركات السريّة بلاد العرب في غلاف الغرب، ويتعمّدون هم شيوعه، ويفتحون له طريق الصعود والانتشار، عبر الصحف والشاشات، وبريق الجوائز، والروتاري Rotary والليونز Lions.

وهو الطراز الذي يقع على أي شيء في الغرب، فتغويه خلابة أغلفته ورنين عباراته، فيسرقه، وينقله على أنه صاحبه، ثم يصير به في بلاد البلاليص مفكّراً رائداً، أو أديباً مبدعاً، ولا هو، ولا البلاليص الذين صار عندهم رائداً ومبدعاً، يعرفون خبيئة ما سرقه، ولا غاية من أنتجه، ولا دوافع من يبثه وينشره.

فرائد التزوير هو (قاسم أمين) و(الطاهر الحداد) و(أحمد لطفي السيّد) و(طه حسين)[في الشعر الجاهلي] و(هدى شعراوي) ...في بدايات القرن العشرين، وفي بدايات القرن الحادي والعشرين هو (أحمد صبحي منصور) و(محمد شحرور) و(علي منصور الكيّالي) و(نوال السعداوي) و(عبد الله الغذامي) و(إسلام بحيري) و(محمد الطالبي) و(يوسف الصِدّيق) و(ألفة يوسف) ... وهو المشخصاتيّة والجورنالجيّة والأدباتيّة، ومن يستوطنون الإعلام ويتصدّرون الشاشات، وهو طراز بعض أساتذة الجامعات، ومن المترفين وقشرة المجتمعات.

وسوف تعلم وأنت تسير في رحلتك معنا أن هؤلاء جميعاً ليسوا سوى قنوات لتسريب معتقدات وأفكار ودعوات ليسوا هم أصحابها ولا من أنتجوها، ولا يدركون منها سوى أغلفتها البرّاقة والمزركشة التي تُلفّ فيها، ولا يعرفون حقيقة من ابتكرها واصطادهم ليكونوا محاضن يستنبتها فيهم، ثم أدوات لبثّها ونشرها.

فهؤلاء جميعاً مجرّد تُروس صغيرة في آلة هائلة لتوليد الضلالات، وفلسفتها، وصناعة الأغلفة لها، وترويجها ونقلها بين الأمم والشعوب، وهم أنفسهم ليسوا على وعي ولا إحاطة بها، ولا يدركون موقعهم منها، ولا موقعها هي من التاريخ وآثارها فيه.

وبالرجوع إلى العقلية التطورية فإنّ اللادينيّة (العلمنة) على الجانب الغربي هي إحلال العلم (في نموذجه الطبيعي) محلّ النص والإله في تفسير كل ما يحيط ويتصل بالإنسان، وبناء عالم تحكمه مناهج العلم الطبيعي وبقوانين مثل قوانينه، وهو المعنى الذي أنتجه انتصار العلماء في صراعهم مع الكنيسة وكشف العلم الطبيعي لزيف النصوص.

وبالتّاريخ والذهن الغربي الذي يختزِنه السفير في رأسه والذي يرى أنّ العِلم الطبيعي هو الاله الجديد وتطبيق مناهجه على كل العلوم وقضايا الحياة الأخرى هي مطمعه للوصول فيها إلى نفس نتائج العلم الطبيعي، يصبح الربط بين قضيّة المرأة وبين العِلم الطبيعي والتمرّد على الفقهاء (البابوات) أمراً مفهوماً، ويكون الدليل على أنّ حجاب المرأة هو من آثار العصور المتوحّشة، وأنّ التحرير هو في صورة المرأة الغربيّة المتمدّنة التي يجب اقناع المجتمع قسراً بها، أنّه:

"يصعب على العقل أن يظن أن علماؤهم الذين يجهدون أنفسهم كل يوم في اكتشاف أسرار الطبيعة، وأن هؤلاء الذين بحثوا عن الميكروبات ووجدوها وبيّنوا أنواعها ووصفوها بأحق أوصافها وربّوها واستولدوها، غفلوا عن هذه العادة وأهملوها" (قاسم أمين، المرأة الجديدة ص99)

أمّا المسألة الحقيقيّة والقضيّة الأصليّة التي تتدسّس وتتسرّب عبر قضيّة التحرير هي:

"كون المرأة تتعلّم أو لا تتعلّم، وتعيش مسجونة في البيت أو متمتّعة بحريّتها، وتخالِط الرجال أو لا تخالِطهن، وما هي حقوقها في الزّواج والطلاق، وماذا يكون شأنها في العائلة وفي الأمّة؟ فهذه أوّلاً مسألة اجتماعيّة، فهي بذلك مسألة عِلميّة" (أي الحكم فيها يكون للعلم الوضعي لا للحكم الشرعي).

(قاسم أمين، المرأة الجديدة ص101)

فرسالة السفير الغربي هي اخراج المسائل الاجتماعيّة برُمّتِها من كونها مسائل شرعيّة تعالج في ضوء القرآن وأحكامه، إلى مسائل علميّة تعالج بالقوانين والنّظريات التفسيريّة الوضعيّة التي بُنِيَتْ ويُغذّيها العِلم والأحكام العقليّة في انفصال تام عن الوحي، وما يقوله هذا السفير هو لُبّ المنهج الوضعي الغربي للتفسير والتشريع كبديل للنص الذي أُطِيح به بعد الثورة الفِرنسيّة.

القِصّة أنّ السفراء الغربيين قد أصبح عندهم:

"العِلم الحديث هو إنجيل الحضارة الحديثة"

(إسماعيل مظهر، المرأة في عصر الديمقراطيّة ص193)

"فالعِلم الصحيح (الاختباري) **دين أيضاً"** (شلبي شميل، النسائيّات ص176)

لذلك: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ **الفتح** (23)

هي بالنسبة لهم:

"سنّة التطوّر؛ ولن تجِد لسُنّة التطوّر تبديلاً"

(إسماعيل مظهر، المرأة في عصر الديمقراطيّة ص74)

ومن هنا يمكنك أن تفهم لماذا ارتبطت قضيّة التحرير عند سفراء الغرب باللادينيّة ومهاجمة "**رجال الدين**" ومن يريدون العودة بالمرأة إلى "**القرون الوسطى**" وبالرّبط بين سفور المرأة و"**الحرية**" و"**عصر العلم**" إلى آخر هذه المفردات التي يستدعونها من سِجلّ المعركة بين عصر التنوير الغربي والكنيسة بسهولة شديدة، لأنّها كلها مزيج واحد تكوّن وامتزج في البوتقة الغربيّة على نار التاريخ والصراعات الغربيّة.

والآن، وبعد أن رأيت العقليّة التطوّريّة لدى سفراء الغرب في القرن العشرين، فإليك نظريّة التطوّر نفسها صريحة سافرة عند أحد سفراء الغرب في القرن الحادي والعشرين.

والمدخل إلى أن نعرّفك بهذا السفير، هو أن ترى نموذجاً على مَثَل العرب: **رمتني بدائها وانسلّت**، ممزوجة بالصفاقة والوقاحة وانعدام الحياء في أسفل دركاتها.

على صفحات كتبه، تتناثر اتهامات (محمد شحرور) للأئمة والعلماء والأمّة كلّها بمتابعة الإسرائيليّات والتأثر بها والأخذ منها، بل وتطاول على كل ما أنتجته أمّة الإسلام من علوم وفقه وحديث ولغة وتفسير للقرآن، وحرّض قارئه على إهدارها وطرحها خلف ظهره، وذريعته التي يغلّف فيها دعواه الإبليسيّة هذه، هي أن هذه العلوم كلها وكل ما أنتجته الأمّة هو من ثمار هذه الإسرائيليّات.

وفي باب: الإسرائيليّات في تفسير القصص القرآني، وهو الباب النموذجي على الاتهامات التي رمى بها جميع الروّاة والمفسِّرين في كتاب "القصص القرآني ج1"، لا تمر أمامك بضع صفحات إلا وتلاقيك هذه الاتهامات العشوائيّة:

"لذلك فإن حديثنا عن سلبيّة وجود الإسرائيليّات في تفاسير القصص...ويؤكد الكثير من الدراسات التي ظهرت منذ القرن الماضي الأثر الكبير للإسرائيليات في كتب التفسير...فلا يكاد كتاب في التاريخ أو التفسير يتناول القصص القرآني إلا وغرق في بحر الإسرائيليات يغترف منه بلا رقيب أو حسيب...فكتب التفسير تعتمد على مرويّات لا يغنى على القارئ أنها من الإسرائيليات...ومازالت هذه العقليّة هي الحاكمة على فقهائنا وعلمائنا، تستمد أصولها من توافق العقليّة القبليّة مع الإسرائيليات..."

فإليك دجّال الغرب، هذا الذي يتهم الأمّة كلها، وفي كل عصورها، بانسياب الإسرائيليّات فيها وتأثرها بها، مِن أي معين يغرف أفكاره ويأتي بتأملاته وتخيلاته، ومن يحاكي في حيله وتكتيكاته.

الثيوسوفي Theosophy، أو الحكمة الإلهيّة، ديانة القبّاليين وحركة العهد الجديد New Age Movement، هو أحد المقررات الرئيسيّة التي يتم تدريسها في الجامعات البريطانيّة ضمن مقررات مقارنة الأديان، باعتبارها ديانة حرّة ونوعاً من أنواع التحديث في العبادة.

والثيوسوفي هو نفسه القبالاه Kabbalah [العقيدة الباطنيّة في الديانة اليهوديّة]، ومبتكرته وأمه الروحيّة القباليّة اليهوديّة الأوكرانيّة (هيلينا بلافاتسكي Helena Blavatsky)، وتحديثها في العبادة هو بالضبط وحذوك البلغة بالبلغة، منهج (محمد شحرور) وأمثاله من الذين ذكرنا لك أسماءهم في القرن الحادي والعشرين، في تفسير القرآن وتوليد الأفكار من آياته وبناء السيناريوهات عليها.

فإذا ذهبت إلى كتاب (بلافاتسكي): "العقيدة السريّة The Secret Doctrine"، فستجد فيه أصل التقنيات والأساليب التي يستخدمها (شحرور) ويوهمك أنها من ثمار عبقريّته الفذّة، ألا وهي عزل كلمة أو عبارة عن النص، ومنحها معنى افتراضيّاً لا علاقة له بهذا النص، ثم إقامة فيلم من أفلام الخيال القبّالي، فـ (بلافاتسكي) تنتج أفلامها من التوراة، والسفير الغربي يحاكيها، عبر وسيط، لكي ينتجها من القرآن.

ولأنه يحاكي القبّاليين في منهجهم وأساليبهم في التعامل مع النص، فلن تعجب إذا علمت أن ما وصل إليه واستخرجه من القرآن هو نفسه ما أنتجوه من التوراة.

والوسيط والوصلة بين سفير الغرب و(هيلينا بلافاتسكي) هو اليهودي القبّالي، والإسرائيلي الأمريكي البريطاني، روسي الأصل، والمولود في باكو عاصمة أذربيجان، (زكريّا سيتشن Zecharia Sitchin).

و(سيتشن) هو المصدر الثاني لأفكار (محمد شحرور) القبّاليّة، وهو أيضاً مصدر نظريّة التطوّر التي وضعها في كتبه "الكتاب والقرآن"، "الإسلام الأصل

والصورة"، "القصص القرآني ج1"، والتي سرق معها منهجه وتقنياته في التوفيق بين التطوّر وبين قصة الخلق في سفر التكوين، ليوظفها في التوفيق بين التطوّر وقصة الخلق في القرآن، ومن ثَم اتّفاق السيناريو الذي أنتجه كل منهما.

وقد تقول: وما الدليل على أن سفير الغرب يعرف أصلاً (سيتشن) هذا أو سمع به، فضلاً عن أن يكون قرأ له وأخذ منه؟

فاعلم أن (زكريّا سيتشن)، الذي توفي سنة 2010، منذ أصدر كتابه الأول "الكوكب الثاني عشر The 12th Planet"، سنة 1976، وكتبه في صدارة الكتب الأكثر مبيعاً في الغرب، خصوصاً في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة UK، والأخيرة محضن السفير.

وبلغ من شهرة (سيتشن)، وذيوع كتبه، أن تحوّلت إلى أفلام في هوليوود إمبراطورية اليهود، وبعض الكُتّاب في البلاد العربية سرقوا أفكاره وابتكاراته القبّاليّة، وضمّنوها في كتبهم دون أن يشيروا إليه، ومن أشهر هؤلاء (أنيس منصور)، في كتابيه "الذين هبطوا من السماء"، "الذين عادوا إلى السماء"، وكذلك (عماد محمد بابكر حسن)، في كتابه "آذان الأنعام"، وهو النسخة الكربونيّة من كتاب (سيتشن) الذي ستلتقي به الآن وأنت تسير معنا.

والمجالات التي يكتب فيها (سيتشن) هي نفسها التي يكتب فيها هذا السفير، فلا ريب أنه التقى كتاباته وهو يدرس مقارنة الأديان.

والأهم من ذلك، كما سترى بنفسك، أن كل ما يوهمك سفير الغرب أنه ابتكره من أساليب وطرق في التعامل مع نص القرآن لتوليد الأفكار وبناء السيناريوهات، بل وهذه الأفكار والسيناريوهات نفسها، ليست سوى غرف مغروف من كتب الإسرائيلي (سيتشن)، يُمنّي بها نفسه أن يبلغ في بلاد العرب ما بلغه (سيتشن) في الغرب.

فإليك فيلم التطور للقبّالي الأصيل (سيتشن)، "زيارة جديدة لسفر التكوين: هل يلتقي العلم الحديث مع المعرفة القديمة Genesis Revisited: Is Modern Science Catching Up with Ancient Knowledge" وكيف عرّبه سفير الغرب، القبّالي بالتقليد والمحاكاة، ونسج إبداعاته التحشيشيّة من حكايات (سيتشن) القبّاليّة.

يخبرك سفير الغرب أن الإنسان جنس أو مجموعة انتقاها الإله من البشر، الذين هم بتكوينهم يشبهون القِردة، بعد أن تطوروا وأصبحوا ملائمين للتغيير، وأن الإله طوّر مجموعة الإنسان هذه إلى الإنسان العاقل، ثم:

"عندما وصل البشر إلى مرحلة النضج العقلي تؤهله لتأسيس المجتمعات وبناء الحضارات، اصطفى الله من هؤلاء البشر القوم مجموعة آدم لينشئ منه الإنسان الحالي وفق سيرورة تطوريّة إنسانيّة" (القصص القرآني ص288)

وفي لقطة أخرى:

"عندما بلغ البشر مرحلة متقدّمة من التطور العضوي والنضج، أصبح مؤهلاً لنفخة الرّوح" (الإسلام الأصل والصورة ص132)

ولكيلا تختلط عليك الأمور:

"فالروح يرتبط بعمليّة الوحي والتعليم الإلهي للبشر"

(القصص القرآني ص281)

لذلك:

"عندما نفخ فيه من روحه، نَقَلَ إليه المعلومات وأحدث طفرة في المعرفة والإدراك" (القصص القرآني ص282)

والألفاظ الإسلاميّة التي حشا بها سفير الغرب عباراته، لتكون جواز مرورها في أدمغة مساطيل العرب، ليست سوى غلاف، إذا أزلته فسيخرج لك القبّالي (زكريّا سيتشن):

"الأنوناكي Anunnaki أو الإيلوهيم Elohim بتعبير التوراة، لم يخلقوا الإنسان من عدم، فهذا المخلوق كان موجوداً بالفعل على الأرض كنتاج لعمليّة التطور السابقة، وكل ما كان مطلوباً للارتقاء به إلى المستوى اللائق من القدرات والذكاء هو جعله على صورة الآلهة، صورة الإيلوهيم أنفسهم، وللتبسيط يمكن أن نطلق على المخلوقات التي كانت موجودة بالفعل الإنسان القرد Apeman والإنسانة القردة Apewoman، والارتقاء بهم وتطويرهم عبر تعديل جيناتهم، وبهذا التعديل والتطوير ظهر الإنسان أو المخلوق العاقل Man, Homo Sapiens" (Genesis revisited, p 160)

فكما ترى، سفير الغرب الذي يختال على قارئه في كتبه، ترجم تأملات (سيتشن) وتخيلاته، ثم قدّمها على أنها من ثمار عبقريّته الفذّة، بعد أن وضع مكان أدلّة (سيتشن) التوراتيّة السومريّة فبركته هو، والتي أنتجها من التلاعب بالكلمات والآيات القرآنيّة، وعبر محاكاة تكتيكات (سيتشن) القبّاليّة.

فكل ما أنتجته عبقرية مُفكّر التزوير، هو أنه وضع لفظ الجلالة مكان الإيلوهيم والأنوناكي، وحوّل الغاية من تطوير المخلوق السابق على الإنسان من جعله **"على صورة الآلهة"** في سيناريو (سيتشن) إلى **"نقل إليه المعلومات والمعرفة الإلهيّة"** التي غلّفها بـ **"نفخة الروح"** في السيناريو المعرّب.

وسفير الغرب، الذي يوهمك في كتاباته بتبحّره في اللغة وفهمه لمعاني الألفاظ العميقة، ومن ثَم حقّه أن يجتهد في فهم القرآن والاستنباط منه، لا يعرف أصلاً المعاني البسيطة للكلمات والعبارات التي يستخدمها، فضلاً عن أن يكون على بصر بمعانيها العميقة.

فالعالم العلاّمة، البحر الفهّامة، سفير الغرب، لا يعرف الفرق بين نقل المعرفة وبين منحها ووهبها.

فنقل الشيء، أي شيء، ومن أي طرف إلى آخر، يعني أن الشيء الذي ذهب إلى الطرف المنقول إليه، قد فُقِد في الوقت نفسه عند الطرف المنقول منه.

وعلى ذلك، فالمعنى الغويط الذي يخبرك به رائد التدليس في عبارته العميقة، أن الإله نقل معرفته الإلهيّة إلى الإنسان العاقل الذي طوره من أشباه القرود من البشر، فصار الإنسان بذلك إلهاً، وذهب الإله بعد أن فقد معرفته لينام.

وما بعد التحوير الذي أدخله السفير بوضع لفظ الجلالة مكان الإيلوهيم والأنوناكي، وبتحويل صورة الآلهة إلى نفخة الروح التي هي المعرفة الإلهيّة، فعبقريته الفذّة تنحصر في الترجمة الحرفيّة لسيناريو (سيتشن) القبّالي.

فالإله في فيلم السفير الغربي، انتقى مجموعة من البشر، لكي يطورهم إلى الإنسان، لأنّ الإيلوهيم أو الأنوناكي لم يخلقوا هذا الإنسان من عدم في فيلم (سيتشن).

والبشر الذين كانوا موجودين بالفعل وطورهم الإله إلى إنسان، يشبهون القُرود في فيلم السفير الغربي، لأنهم في فيلم القبّالي (سيتشن) قرود أو صورة وسيطة بين القرود والإنسان.

فهاك رائد التجد...التقليد يخبرك بصفة هؤلاء البشر، كما هي عند (سيتشن) صريحة، وبنص ألفاظه، لتعرف أين التقى بهم:

"ولا يمكننا أيضاً إنكار حقيقة عِلميّة واضحة ومثبتة مفادها أن هذا النوع من الكائنات كان يمشي على أربع ثم أصبح منتصب القامة، وأن عقله تطور تدريجيّاً، وأن شكله تطور من شبيه بالقِرَدة إلى شكل الإنسان الحالي"

(القصص القرآني ص253)

فكما ترى، عبارة "**شبيه بالقِردَة**" ليست سوى ترجمة دقيقة وأمينة لوصف (سيتشن) الغامض لهذا الكائن بأنه "**قِرد إنسان**" أو "**إنسان قرد**".

ونحسبك لست بحاجة إلينا لتعرف أن "**حقيقة عِلميّة واضحة ومثبتة**"، التي يوهمك سفير الغرب بها أنه نقّب وقرأ، وفحص ومحص، وحقّق ودقّق، ليست سوى القبّالي (زكريّا سيتشن).

و(آدم) في فيلم السفير الغربي ليس فرداً، بل يمثل بعد تطعيم الترجمة بفبركته المعتادة للكلمات القرآنيّة، المجموعة التي تم تطويرها من البشر القِردة:

"وهنا يجب أن نفهم أنّ آدم ليس شخصاً واحداً وإنما هو جنس نقول عنه الجنس الآدمي"

(الكتاب والقرآن ص291)

لأنّه هكذا في فيلم (سيتشن):

"سِفر التكوين يشير إلى المخلوق الجديد باسم: آدم، وهو مصطلح يدل على جنس هذا المخلوق ونوعه، وليس على شخص اسمه آدم"

(Genesis Revisited, p 161)

وأمّا كيف تمّت صناعة (آدم)، أو المجموعة الأولى من المخلوق الجديد الذي هو الإنسان، في فيلم (سيتشن)، فهو ما لم يجرؤ سفير الغرب على ترجمته ونقله إلى فيلمه، لأنّ تحشيش (سيتشن) تخطّى المستوى الذي يمكن أن تحتمله الدماغ العربيّة.

فالتقنية التي طوّر بها الإيلوهيم جينات القِردة التي تمشي على أربع، ليرتقوا بهم إلى مرتبة الإنسان الذي يمشي على رجلين، هي أطفال الأنابيب، و(آدم) الذي بدأت به مسيرة الإنسانيّة هو أوّل طفل أنابيب في هذه المسيرة:

"طبقاً للنصوص السومريّة، تم تزويج الجينات، الإلهيّة للأنوناكي بالجينات الأرضيّة للإنسان القرد، عبر تلقيح بويضة امرأة قِردة، وقد كان تلقيحاً مَعمليّا In Vitro في أنابيب أسطوانيّة زجاجيّة، كالتي في الصورة الجداريّة المبنيّة بالشكل رقم 51، وآدم كان أوّل طفل أنابيب" (Genesis Revisited, p 162)

وبعد أن أخرج (سيتشن) (آدم) من أنبوب التلقيح إلى الوجود في قصة الخلق السومريّة، ينتقل بك إلى سِفر التكوين لكي يرقعها بقصة الخلق التوراتيّة.

فآدم:

"خُلِق أوّلاً، ثم في المرحلة التالية خلق الإيلوهيم منه أول البشر ذكراً وأنثى"

(Genesis Revisited, p 170)

وهاهنا قد ظهرت مشكلة، فالذكور والإناث الذين تم تخليقهم بالتهجين بين الأنوناكي الآلهة والبشر القِردة ليس لهم القدرة على الإنجاب والتناسل، ومن ثم:

"كان لا بد من تعديل جيني آخر لكي يتمكّن الناس المهجّنون Hybrid People من التناسل والإنجاب" (Genesis Revisited, p 171)

فهل أدركت الآن لماذا كان فيلم السفير وكأنه هابط من أفلام المقاولات، فأحداثه مفكّكة وغير مترابطة، وما يوجد في مشهد ينقضه الذي بعده.

فيلم السفير الغربي مَناظِر من غير قِصّة، لأنه ليس صاحب السيناريو، ولا يملك مواهب صاحبه، ولا ما توافر له، فـ (سيتشن) قبّالي أصيل، وتوليد السيناريوهات والتفسير بالتخيلات والتأملات ميراثه التاريخي الذي ورثه عن آبائه وأجداده،

والتوراة، كما رأيت، هي نفسها نبع فوّار بالابتكارات يمدّ من أراد بوافِر منها، وجنّة عدن في التوراة جنّة أرضيّة.

ولأنّ السفير ليس له من ذلك شيء، فقد كان كل ما فعله هو أنه أتى بسيناريو (سيتشن)، ثم لفّق منه السيناريو الذي ألّفه هو بالتعريب والتحوير وتطعيمه بالتفسيرات المتعسّفة والملتوية لآيات القرآن وكلماته.

ولأنه وضع النتائج التي وصل إليها (سيتشن) نصب عينيه، ويريد الوصول إليها، والقرآن بنصّه المحفوظ ونسيجه المحكم ولغته الباقية تقيّده، ولا يمكنه أخذ راحته في التخيّل والابتكار، فقد اضطر إلى اللف والدوران، وقص مشاهد ولصقها بأخرى، فلم ينتبه إلى أن الرابط بينهما قد ضاع منه، وأن السيناريو الذي ألّفه من التلفيق بين سيناريو (سيتشن) وتفسيراته هو الملتوية للقرآن، جاء مضطرباً غير متناسق، وأحداثه عشوائيّة ومتضاربة.

و(سيتشن)، كما ترى، ليس عنده أي مشكلة أو حواجز تعيقه عن فبركة الحكايات، فجنّة التوراة هي جنّة في الأرض، أمّا سفير الغرب، فأمامه عوائق جسيمة وحواجز هائلة، كان لا بد له أن يزيلها أولاً، لكي يتمكن من محاكاة سيناريو (سيتشن)، ونسج الحكايات على منواله، فأزالها بتفكيك نسيج القرآن، ولوي آياته، وفبركة معاني من خياله لكلماته، وإسقاط ما يعرقل تخيلاته من الآيات، وبالهبوط بقصة الخلق القرآنيّة كلها من الملأ الأعلى إلى الأرض.

يخبرك الله عز وجل في بيانه إلى خلقه، أن ما حدث قبل أن تبدأ مسيرة الإنسانيّة على الأرض كان في الملأ الأعلى، وأن النبي عليه الصلاة نفسه لا عِلم له بما حدث إلاّ من جهة الوحي الإلهي.

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴿٦٩﴾﴾ سورة ص

ولأن سيناريو (سيتشن) الذي يقلِّده فيلسوف التن...التزوير لا مكان له في الملأ الأعلى، فقد نقل مسرح أحداث فيلمه من الملأ الأعلى إلى الأرض، ليوهم قارئه أنه قد كشف بفيلمه هذا ما تاهت عنه أمّة الإسلام طوال تاريخها، في عبارة لا ريب أنه قالها لنفسه معجباً بعبقريّته الفذّة:

"إذاً نقول إنّ الجنّة التي سكنها آدم وزوجه هي جنّة أرضيّة وليست سماويّة"

(القصص القرآني ج1 ص322)

وحتى البقعة من الأرض التي اختارها لسيناريو فيلمه جاء بها من فيلم (سيتشن)، مع حذف بسيط لأنه تعِب من التصوير.

فهذا هو مكان تصوير فيلم (سيتشن):

"هذه الاكتشافات تفتح الباب لمعرفة معمل الطبيعة السِرّي الذي جرت فيه عمليّة التطوّر من الثديّات إلى القِردة إلى القِردة العليا إلى الإنسان، مكان عمليّة الخلق والتطوّر هو الوادي المتصدّع Rift Valley الذي يشق إثيوبيا وكينيا وتنزانيا... من بين علامات الطريق البارزة كانت مثل هذه الاكتشافات كأجزاء هيكلية لأنثى تُدعى "لوسي Lucy" يعتقد أنها كانت أسترالوبيثكس متقدمًا advanced Australopithecus عاش منذ حوالي 3.5 مليون سنة"

(Genesis Revisited, p 193-194)

وهذا هو مكان تصوير فيلم سفير الغرب، في عبارة واحدة تحوي الأصل مع الحذف، ويخاطب فيها أستاذه في التخيلات والتحشيش والفبركة:

"وهنا بدأت مرحلة البشر المنتصب، وخير مثال عليها لوسي التي وجدت بقاياها في أثيوبيا وذات العمر أكثر من أربعة ملايين سنة"

(الإسلام الأصل والصورة ص132)

بقي لكي تخرج من مغارات القبّاليين، وتغادر تحشيشاتهم، أن تعرف حقيقة فيلم الأنوناكي، أو الآلهة التي هبطت من سماء كوكب نبريو لخلق الإنسان، والذي قال (سيتشن)، أستاذ (محمد شحرور)، إنه ترجمة حرفيّة لما في ألواح سومر.

فأولاً، يقول (رونالد فريتز Ronald Fritze)، عميد كلية العلوم والفنون في ألاباما Alabama، في كتابه "المعرفة المختلقة: التاريخ المزور، العلم المزيف والديانات الكاذبة Invented Knowledge: False History, Fake Science and Pseudo religions"، والذي خصص جزءاً كبيراً منه لـ (زكريّا سيتشن) ومؤلفاته، عن ترجمة (سيتشن) لألواح سومر التي أخرج منها فيلم الأنوناكي:

"ترجمة سيتشن لمعاني الكلمات القديمة مغرضة، وفي كثير من الأحيان متكلفة وملتوية، وعند مراجعة النقاد للمصادر التي ينقل عنها وجدوا أنه غالباً ما يقتبس عبارات يخرجها من سياقها، أو يبتر ما يقتبسه بطريقة تشوه ما يستدل به أو تُحرّفه، لكي يتوافق مع ما يعتقده ويريد إثباته، ثم هو يقتبس من الشواهد ما يتوافق مع ما يريده ويتجاهل ما يخالفه" (p 214)

وأمّا ثانياً، فلا وجود لكوكب نبريو في علم الفلك أصلاً!

7
- نسبيّة الشرع والإطاحة بالنص -

هذه النِسبيَّة هي شبيهة بفكرة التطوّر، بل هما وجهان متلازمان تلازم وجهي العُملة، وهما معاً خرجا من رحِم سقوط المرجعيّة الثابتة وعصمة النّص في الغرب، حيث أصبح الانسان وحده بالعلم والعقل والتجريب هو الذي يضع القوانين والتشريعات ويحدّد الأخلاق الفاضلة (النّافعة) والسيّئة (الضارّة)، وبما أنّ القضيّة الموهومة قد دُفِعَتْ قسراً في الطّريق الغربي، كان المطلوب هو تسييرها بنمط تطوّري يحكم مسيرتها فيه العلم والعقل والتجربة لا الشرائع الثابتة حتّى وإن اتفقا بالضرورة في الخطوة الأولى.

فالمُزور الأوّل بدأ في كتابه "تحرير المرأة" الخطوة الأولى فلا يفوتك أنّ في رأسه نتيجة محدّدة سلفاً يريد الوصول إليها ولكنّه يُجزِّئها إلى نتائج متوالِدة وآثار متراكِمة، لذلك يحرص في كلّ مطلب يطلبه أن يضع كلِمة (الآن) التي تعني الاكتفاء بهذا الحدّ في المطلب وقت مطالبته به إلى آن آخر:

"ربّما يتوهّم ناظر أنني أرى الآن رفع الحجاب بالمرّة ...إنّي لا أقصد رفع الحجاب الآن دفعة واحِدة...وإنّما أطلب الآن ولا أتردّد في الطلب أن توجد هذه المساواة..." (قاسم أمين، تحرير المرأة مواضع متفرّقة)

وبالمسار والطريق الذي وضع المزور الأوّل القضيّة على أعتابه أصبحت نسبيّة الأوضاع وتراكم النتائج نهجاً ثابِتاً لمسألة المرأة، فمِنَ المطالبة برفع الحجاب إلى منع الحجاب، ومن سفور الوجه إلى العُريّ الفاضِح، ومن المساواة في التعليم إلى المطالبة بالمساواة في الميراث، وفي المطالبة بتقييد حق الرجل بالتعدّد إلى المطالبة بحقّها هي في التعدّد.

وما خدِع به البعض أنّ المحرران الأول والثاني بدآ في تحرير المرأة بإثبات أنّهما يريدان إزالة ما علِق بالشّرع من عادات دخيلة وإعادة أوضاع المرأة لأوضاعِها الشرعيّة الأصليّة، لكن الحقيقة أنّهما كانا يؤكّدان على شرعيّة ما يدعوان إليه ليضمنا تحريك المسألة الخطوة الأولى ويتجاوزانها بعد ذلك، فالشّريعة تُستخدم ومازالت تُستخدم كمرحلة تمهيديّة تؤدي طبيعة المسار الغربي الذي تُحَرَّكُ القضيّة فيه إلى تجاوزها فيما بعد، لأنّها لن تُسعِفَ المحرر مستقبلاً ولن تصل معه إلى الصّورة المُحدّدة سَلَفاً التي يراد الوصول إليها.

مثلاً بدأ المحرر دعوته إلى تحرير المرأة تحت غطاء الشريعة بمنطِق:

"وقد رأيت بعين اليقين أن الإسلام بريء من تهمة تعطيله الإصلاح، بل هو دينه القويم ومنبعه الذي لا ينضب، وما كان انهيار صرحنا إلاّ من أوهام اعتقدناها، وعادات مهلكة وفظيعة حكّمناها في رقابنا، وهذا ما حدا بي أن أضع كتابي هذا عن المرأة في الشريعة والمجتمع"

(الطاهر الحداد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع ص7)

"إنّنا نطلب تخفيف الحِجاب، وردّه إلى أحكام الشريعة الإسلاميّة، لا لأنّنا نميل إلى تقليد الأمم الغربيّة في جميع أطوارِها وعوائدها لمجرّد التقليد(mmm) أو للتعلّق بالجديد لأنّه جديد. فإنّنا نتمسّك بعوائِدِنا الإسلاميّة ونحترِمها...وإنّما نطلب ذلك لأنّنا نعتقِد أنّ لردّ الحجاب إلى أصلِه الشرعي مدخلاً عظيماً في حياتِنا."

(قاسم أمين، تحرير المرأة ص46)

فالمسألة بدأت من الشريعة وبها لا لتقليد الغرب أو وضعه كنموذج يراد الوصول إليه، لتُصبِح في الخطوة التالية بعد اللف والدوران:

"هذا هو الذي جعلنا نضرب الأمثال بالأوروبيين ونشيد بتقليدهم، وحَمَلَنَا على أن نستلْفِت الأنظار إلى المرأة الأوروبيّة." (قاسم أمين، المرأة الجديدة ص91)

فبعد أن كان البدء من الشريعة والاحتكام إليها أصبحت نقطة البدء هي صورة المرأة الغربيّة المُتمدِّنة وهي أيضاً محطّة النهاية التي يجب أن تصل إليها المرأة المسلِمة، وما بينهما سوى طريق التقليد الذي ينبغي علينا أن نسير فيه:

"للأروبيّات رقّة ورشاقة في الحركات، وملامح حيّة تنطق بأعماق القلب، وابتسامات ساحرة جذّابة...وللأروبيّات أيضاً ذوق ومعرفة في ترتيب أثاث المنزل ورياشه والمأكل والملبس وحسن تدبير في تحضير المعاش وتقدير نفقاته بالوجه المناسب للدخل...وللأروبيّات روح ومعرفة في إنجاب الأبناء وتهيئتهم للحياة...إنّ المرأة الأروبيّة قد سارت خطوات واسعة في هذه الاتجاهات، عكس امرأتِنا فهي لم تستعِدّ إلى شيء منها حتّى الآن...وبدون أن نطيل في تعداد ميادين المرأة الأروبية اليوم فإن أقرب شيء من ذلك إلينا وأحوجنا إليه هو معرفتها أو قدرتها على إنجاب الأبناء"

(الطاهر الحداد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع، ص 202-203-245)

وبعد أن كانت الشريعة هي المُحرِّك والدّافع وهي المقصد، فجأةً حدث ما حتّمه الطريق واتّجاه السير فأُرجِعَتْ خطوة إلى الوراء وتم تحويلها لتاريخ ورؤية زمنيّة تجاوزها التطوّر.

فبعد 30 عاماً من خُطوتي المُحرِّر الأوّل اللتين تحدّد بهما الاتّجاه والهدف، وصلنا إلى:

"وكان من ذلك أنّ القرآن لم يُبوِّب لأحكامه بحسب الموضوع طِبق الأصول النظريّة في تدوين المبادئ والكتب، وبذلك كانت شريعته نتيجة ما في الحياة من تطوّر."!! (الطّاهر الحدّاد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع ص7)

ثم انتقلنا بعدها بـ 20 سنة إلى:

"فشهادة امرأتين بشهادة رجل ونصيب الرجل في الميراث بنصيب امرأتين، ولا شبهة مطلقاً في أنّ ذلك كان طَفْرَةً في العصر الذي نزلت فيه الشريعة الاسلاميّة، بل إنّنا لا نبالغ أنّه كان أكثر من طَفْرَة (!؟!؟) غير أنّ 15 قرناً من الزمان كافية في الواقع لأن تُهيّئ العقليّة الانسانيّة إلى خطوات أخرى في التشريع للمرأة."(إسماعيل مظهر، المرأة في عصر الديمقراطيّة ص87-88)

لننتهي في القرن الحادي والعشرين بـ:

"زالت المجتمعات التي كانت الأحكام القرآنيّة والفِقهيّة قادِرة على تسييرها في كل ما يخُصّ العلاقات بين أفرادها نساءً ورجالاً. فعلينا أن نُقْبِل على تبنّي المكاسب المدنيّة التي حقّقتها الحداثة في اتّجاه المساواة والحريّة."

(رجاء بن سلاّمة، بنيان الفحولة ص82)

﴿لَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾

المائدة (49)

8
- المرأة ليست كالرجل -

مما لا يدركه كثير من الناس، وغاب عن وعي كل السفراء الغربيين، أنّ العقل هو القدرة على إدراك الأمور وفهمها بصورة صحيحة، ثم اتخاذ قرار سليم يتناسب مع هذا الإدراك ويتوافق مع هذا الفهم، وأنّ الخلل في عمل العقل، إمّا أن يكون ذاتيّاً، بفقدانه القدرة على التمييز والإدراك والفهم، أو أن يكون لوقوع مؤثرات عليه من خارجه، تفقده القدرة على اتخاذ القرار المناسب للفهم الذي فهمه، وهذه المؤثرات، كالقلق والخوف والوسواس والاكتئاب، مصدرها العواطف والانفعالات.

وهذه المؤثرات الانفعاليّة والعاطفيّة التي تتكوّن داخل نفس الإنسان، هي نفسها، إمّا أن تكون استجابة لمؤثر موضوعي أو عامل حقيقي خارج عن نفس الانسان، وإمّا أن تنبع ذاتيّاً من داخل الإنسان دون وجود عوامل خارجيّة، لِعِلّة نفسيّة أو لاضطراب عضوي، فالخوف أو الرعب قد يتولّد في نفس الإنسان لأنه سمِع أصواتاً غريبة ورأى لصوصاً يتأهبون للانقضاض عليه، أو لأنه فكّر في ذلك دون حدوثه فعلاً، أو لأنّ ثمّة خللاً في غدده الصمّاء ومقادير ما تفرزه من هرمونات.

وهذا الخوف والقلق والاضطرابات النفسيّة تؤثر في سلامة العقل وما يصدره من أحكام، والحيض وما يصاحبه من تغيرات هرمونيّة هو أيضاً يسبب للمرأة اضطرابات وقلاقل وتشنّجات، فتفهم من ذلك بالضرورة أن سلامة عقل المرأة إبّان الحيض ليست كاملة، وأنّ أحكامه ليست دقيقة، وهو ما يفنّد كل ما يقوله رُوّاد تزوير المرأة من بين صراخهم ونحيبهم إنّ عقل المرأة لا يفرق عن عقل الرجل.

فإليك البراهين على صِحّة هذا الكلام من عند أهل الاختصاص.

في سنة 2003، قام قسم طب الأسرة في كليّة الطب بجامعة جنوب كارولينا South Carolina بإجراء دراسة بحثيّة طبيّة، اشتركت فيها الدكتورة (لوري ديكرسون Lori Dickerson)، أستاذ طب الأسرة، والدكتورة (باميلا مازيك Pamela Mazyck)، أستاذ علم الأدوية، والدكتورة (ميليسيا هنتر Melissa Hunter)، أستاذ طب الأسرة، ونشِرت في مجلّة: طبيب الأسرة الأمريكيّة American Family Physician، التي تصدرها الأكاديميّة الأمريكيّة لطب الأسرة، وكان عنوان الدراسة "متلازمة ما قبل الطمث Syndrome Premenstrual"، وكان الهدف منها دراسة الأعراض المصاحبة للحيض عند النساء، وفي الفترة السابقة عليه، في شرائح عمريّة مختلفة.

وتقول (لوري ديكرسون) ورفيقاتها في تعريف متلازمة ما قبل الطمث إنّها مجموعة من الأعراض الدوريّة التي تصيب النساء في أثناء الطور الأصفر من الدورة الشهريّة، وهو الطور الذي ينتهي إمّا بالحمل أو بالحيض، وأسباب هذه الأعراض متعددة ومتداخلة، وبعضها غير مفهوم، إلاّ أنّ السبب الظاهر الرئيسي هو حدوث خلل في تنظيم دورة الهرمونات العصبيّة، يؤدي إلى اضطراب في وظيفة الناقلات العصبيّة المركزيّة في المخ، مثل السيروتونين Serotonin.

وتنقسم أعراض متلازمة ما قبل الطمث إلى نوعين، الأوّل خفيف، ويصيب 85٪ من النساء في سن الخصوبة، والثاني عنيف، ويصيب 15٪ من النساء.

فإليك أعراض النوع الخفيف من متلازمة ما قبل الطمث، أو الأعراض المعتادة التي تجتمع اثنتين أو ثلاثة منها في أغلب النساء.

"أولاً: أعراض سلوكيّة Behavioral Symptoms: التعب، الأرق، الدوار، فقدان الشهوة الجنسيّة، الرغبة في الأكل بشراهة، ثانياً: أعراض نفسيّة Psychologic symptoms: التوتر، الغضب، الاكتئاب، البكاء وانهمار الدموع، العصبيّة، تقلّب المزاج، فقدان التركيز، النسيان، الارتباك، الشعور بالوحدة والغربة، فقدان الثقة بالنفس

ثالثاً: أعراض جسمانيّة Physical Symptoms: الصداع، انتفاخ الثدي مصحوب بالآلام، آلام الظهر، آلام وانتفاخ بالبطن، زيادة الوزن، غثيان، احتباس للماء، آلام بالمفاصل والعضلات."

أمّا النوع العنيف من متلازمة ما قبل الطمث، فإنه يصنّف على أنه حالة مرَضيّة، وطبقاً لمعايير الجمعيّة الأمريكيّة للطب النفسي American Psychiatric Association، فإنه ينقسم إلى أربع درجات، وقد تصل حِدّة الأعراض إلى أن تُحدِث نوعاً من الإعاقة الاجتماعيّة وفقدان التواصل مع الآخرين، وعدم القدرة على ممارسة العمل، أو الذهاب للمدرسة أو الجامعة.

فإليك هذا الخبر الطريف والغريب، الذي نقله (كريستوفر بورسي Christopher Boorse)، في بداية دراسته " متلازمة ما قبل الطمث والمسؤولية الجنائية Premenstrual Syndrome and Criminal Responsibility "، لتعرف منه كم في المائة ينقص عقل المرأة، ولأي مدى قد تفقدها أحوالها الخاصّة القدرة على التحكم في سلوكها.

"في سنة 80-1981، تقرر الإفراج عن امرأتين اتُّهِمتا بجريمة قتل في بريطانيا، وكان الإفراج على أساس أنهما ارتكبتا الجريمة وهما تعانيان من توتر ما قبل الطمث"

والفروق النفسيّة والذهنيّة والسلوكيّة بين الرجل والمرأة ليست فقط محصورة في الطمث والفترة السابقة عليه، بل هي فروق ترتبط بالاختلاف في التكوين البيولوجي وطبيعة الهرمونات وآثارها في كل منهما.

فإليك أبرز الفروق بين الرجل والمرأة، من الدراسة التي قام بها (ڤيد براكاش Ved Prakash) و(سيلي فلوريس Caeli Flores)، من جامعة فلوريدا الدوليّة Florida International University، سنة 1985، والتي قاما فيها بعرض

نتائج الدراسات التي أجريت منذ منتصف القرن العشرين في مجال علم النفس عن الفروق بين الرجل والمرأة، وكان عنوان الدراسة "دراسة للفروق النفسيّة بين الجنسين A Study of Psychological Gender Differences"، ونُشِرت في مجلّة: الجديد في أبحاث المستهلكين Advances in consumer Researsh، التي تصدرها جمعيّة أبحاث المستهلكين Association for Consumer Researsh، في الولايات المتحدة، وهي جمعيّة تمول اجراء دراسات وأبحاث علميّة في عدد من الجامعات الأمريكيّة، في مجالات علم نفس وعلم الاجتماع وعلم الأجناس والاقتصاد والإعلام وعلوم اللغة والتاريخ، وتقول الجمعيّة إن هدفها من تمويل هذه الدراسات ايجاد تواصل بين العلماء وبحوثهم الأكاديميّة، وربطها بالسياسات، الحكوميّة، وتوظيفها في الصناعة والأغراض التجاريّة.

إليك أبرز الفروق بين المرأة والرجل من دراسة (براكاش) و(فلوريس) مع إضافات من بعض الدراسات الأحدث.

وأوّل الفروق بين المرأة والرجل في النزعة العدوانيّة Hostility and Aggression، والمقصود بالنزعة العدوانيّة الميل لاستخدام القوّة أو العنف للسيطرة على الآخرين، أو لتحقيق الأهداف، وفي دراسة (ماكوبي) و(جاكلين) Maccoby & Jacklin، سنة 1974، أنّ الذكور أكثر عدوانيّة وميلاً لاستخدام القوّة من الإناث، وأنّ هذه الميول العدوانيّة درجات تتراوح بين تخيّل استخدام القوّة في الخيال وأحلام اليقظة، مروراً بالعنف اللفظي، إلى أن تصل إلى العنف البدني الفعلي في الواقع.

وفي دراسة (ويتينج Whiting) و(بوب Pope)، سنة 1974، أنّ هذه الفروق في الميول العدوانيّة تظهر منذ الطفولة، في صورة ميل الأطفال الذكور إلى اللعب بالألعاب العنيفة أو التي ترتبط بالقتال والصراع، بينما تنفر الفتيات الصغيرات من

هذه الألعاب ويمِلن إلى اللعب بالألعاب الناعمة واللطيفة، وكذا ميل الذكور إلى الرد العنيف على ما يقع عليهم من اعتداءات لفظيّة أو جسديّة، في مقابل ميل الفتيات إلى الانزواء أو البكاء أو الاستغاثة.

وفي سنة 1982، وجد (بولاك Pollack) و(جليجان Gilligan) أنّ هذه الفروق ليست فقط لأسباب اجتماعيّة أو ثقافيّة أو تتعلّق بطريقة التنشئة، بل إنّ أسبابها بيولوجيّة تتعلّق بالاختلاف بين آثار هرمونات الذكورة وهرمونات الأنوثة، وأكّد (بولاك) و(جليجان) نتائجهما عبر دراسة آثار حقن إناث حيوانات مختلفة بهرمونات الذكورة، وحقن ذكورها بهرمونات الأنوثة، فالإناث صِرن أكثر عدوانيّة، والذكور أقلُّ شراسة.

وثاني الفروق بين الرجل والمرأة في التعاطف والتفاعل الودّي Empathy، ومعناه القدرة على الإحساس بالآخرين وفهمهم ومشاركتهم في مشاعرهم وانفعالاتهم النفسيّة، وتُجمع كل الدراسات في مجال الفروق بين المرأة والرجل، على أنّ المرأة أكثر من الرجل إحساساً بالمشاعر والأحاسيس، وأكثر تعاطفاً مع أصحابها، وقدرة على التفاعل معهم ومشاركتهم فيها، ومن أمثلة هذه الدراسات، دراسة (هوفمان Hoffman) سنة 1977، ودراسة (أندرسون Anderson) و(بيم Bem) سنة 1981، ودراسة (إيرنبرج Eisenberg) و(لينون Lennon) سنة 1983.

وفي دراسة (باول كوستا Paul Costa)، و(أنطونيو تيراشيانو Antonio Terracciano)، سنة 2001، عن الفروق بين الجنسين وما يميّز شخصيّة كل منهما عبر الثقافات، التي نُشِرت في مجلّة علم النفس الاجتماعي Journal of Personality and Social Psychology، أنّ المرأة أكثر دِفئاً وتعاطفاً وإحساساً بالمشاعر وقدرة على إدراكها، وهي أكثر فهماً لتعبيرات الوجه، وتميل للتعامل مع الأشخاص، وتراعي في مواقفها الأشخاص والمحافظة على العلاقات

الوِديّة، بينما الرجل أكثر واقعيّة وميلاً للحسم، وانتباهاً للأفكار، وميلاً للتعامل مع الأشياء، ويحكمه في أحكامه ومواقفه المعايير الواقعيّة والنتائج النهائيّة، ولذا تفضّل المرأة التكيّف مع المشكلة إذا تطلّب حلّها فقدان علاقتها مع الأشخاص، بينما يميل الرجل إلى حسمها دون اعتبار لعلاقته مع الأشخاص.

والفروق بين الرجل والمرأة في النزعة العدوانيّة، وفي التعاطف والتفاعل مع المشاعر، وفي مراعاة الأبعاد الشخصيّة والعلاقات الوِديّة، ترتب عليها فروق بينهما في طريقة مواجهة المشاكل وأساليب حلّها.

وفي دراسة (ماك ليلاند McClelland) سنة 1975، و(جليجان Gilligan) سنة 1977، أنّ المرأة تميل إلى دمج المشكلات معاً والتعامل معها كمشكلة واحدة، وإذا لم تتمكّن من حل المشكلة فإنها تتوائم معها وتُكيّف نفسها على العمل في وجودها، وأنه عند أغلب النساء مشاركة الآخرين في المشكلة، والكلام عنها وعن طريقة حلّها، أهم من حلّها نفسه!

أمّا الرجل فإنه يتعامل مع المشكلة من خلال تنظيم هرمي يتولّى فيه السيطرة وتوجيه الآخرين، ويواجه المشكلة بتجزئتها إلى عناصر وحل كل عنصر وحده، وإذا فشل في حلّ المشكلة فإنه لا يتكيّف معها ولا ييأس من التكرار ومحاولة حلّها.

والفروق بين الرجل والمرأة في طريقة مواجهة المشاكل وحلّها، تظهر بوضوح في اختلاف المجالات التي يعمل فيها كل منهما ويميل إلى الوجود في أوساطها، حتّى في بلاد العرب التي ترفع رايات استرجال المرأة ومساواتها التامّة بالرجل.

وفي سنة 2009، أجرت (رونج سو Rong Su) و(جيمس راوند James Rounds)، من جامعة إلينوي llinois، بالاشتراك مع (باتريك إيان أرمسترونج Patrick Ian Armstrong)، من جامعة أيّوا Iowa، دراسة ميدانيّة موسّعة، نُشرت في مجلّة: دوريّة علم النفس الأمريكيّة Psychological Bulletin، وكان عنوانها "الرجل والأشياء، المرأة والناس، تحليل موسّع عن الفروق بين الجنسين في الاهتمامات Men and Things, Women and People: A Meta-Analysis of Sex Differences in Interests ".

وفي دراستهم يقول (رونج) و(راوند) و(أرمسترونج)، إنه منذ سبعينات القرن العشرين وكل الدراسات التي أُجريت على الفروق بين الرجل والمرأة ترصد انخفاض وجود نساء في مجالات العمل التي تتصل بالعلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات والإحصاء، وحتّى سنة 2007 كان عدد النساء اللاتي يعملن بالرياضيات والإحصاء أقل من نصف عدد الرجال، وعددهنّ في علوم الفيزياء والكيمياء خُمُسا عدد الرجال، وفي مجالات الكمبيوتر عددهن ربع الرجال، وفيما يتّصل بالهندسة عددهن خُمس عدد الرجال، أمّا المجالات التي يتركّز فيها النساء ويُجِدن العمل فيها، فهي الطب، خصوصاً الطب النفسي، والإعلام، والعلاقات العامّة.

وبعد عرض منهجهم في دراستهم الميدانيّة، وطريقة إجرائها، وبعد أن استعرضوا نتائجها، وصل (رونج) (وراوند) و(أرمسترونج) في ختامها، إلى أنّ:

"انخفاض تمثيل النساء في مجالات العمل المتصلة بالعلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات، والذي لم يتغيّر عبر عقود، سببه تفضيل المرأة للعمل في المهن التي تكون فيها بين الناس، وإعراضها عن المهن التي تتعامل فيها مع الأشياء"

والآن تأمل، الرجل يدرك الأشياء بعقله، والعقل لكي يدرك يحتاج إلى مقدّمات يستنبط منها ويرتّب عليها نتائج، بينما المرأة تدرك المشاعر والأحاسيس والاحتياجات النفسيّة لمن أمامها مباشرة دون حاجة لمقدّمات منطقيّة ولا عمليّات عقليّة للاستدلال، لذا لا يستطيع الرجل بعقله أن يدرك ما يحتاجه الطفل، لأنه لا يمكنه التعبير عن مراده بالكلام الذي هو المادّة والمجال الذي يعمل فيه العقل ليدرك المراد، بينما المرأة تدرك ما يحتاجه طفلها لأنّ ما يريده ينتقل إليها وتفهمه تلقائيّاً عبر عواطفها ومشاعرها، ومن غير حاجة للعمليّات العقليّة أصلاً، فلو كان عقل المرأة كعقل الرجل، وهو وسيلة إدراكها، لما أدركت حاجات طفلها، ولما نبَتَ وشبّ.

والمرأة تجد راحتها في الكلام عن المشاكل وليس حلّها، ويمكنها بالكلام التوائم معها دون أن ينغّص عليها حياتها بقاؤها، ومن ثم يمكنها التوائم مع الأطفال ومشاكلهم، وجلب الراحة لنفسها بالفضفضة فيها، سواءًا وجدت لها حلاً أو لم تجد، أمّا الرجل فإنه لا يرتاح إلاّ بحلّ المشكلة، فإذا لم يستطع حلّها تراكم غضبه ثم انفجر، ولا توجد أسرة ولا مجتمع لا يعرف البراكين التي تتصاعد حممها من الأب حين يضطر يوماً للبقاء مع أطفاله الصغار والعناية بهم بدلاً من أمهم التي تقوم عليهم دائماً وفي كل وقت وفي حضور الأب وغيابه، فلو كان عقل المرأة وتكوينها كعقل الرجل وتكوينه، لهجرت أطفالها بدلاً من رعايتهم والحُنوّ عليهم.

والعقل معناه، كما علِمت، إدراك الأشياء أو الأفكار أو المشاكل وفهمها بصورة صحيحة دقيقة، ثم اتخاذ قرار يلائم هذا الإدراك ويتناسب مع هذا الفهم، مع تحييد المشاعر والعواطف في الإدراك وفي اتخاذ القرار، فلو كان عقل المرأة تماماً مثل عقل الرجل، وهو وسيلة إدراكها واتخاذها للقرار، فعقلت به مصاعب الحمل وآلام الطّلق والولادة ومشاق الرضاعة وعناء التربية والعناية، ثم اتخذت بعقلها هذا القرار المناسب لهذه المصاعب والآلام والمشاق والعناء، لما حملت وأنجبت، ولا أرضعت وربّت، ولتوقفت الإنسانيّة وانقرض البشر.

ومناسبة تكوين المرأة والفروق التي بينها وبين الرجل لوظيفتها الأولى، الأمومة، هو ما فطن إليه (ڤيد براكاش) و(سيلي فلوريس)، في دراستهما عن الفروق النفسيّة بين الرجل والمرأة.

حيث نصّا على أنّه:

"يعتقد المتخصصون في البيولوجيا الاجتماعيّة Sociobiologists أنّ المرأة تعتبر أطفالها هم المجال الأوّل الذي تستثمر فيه طاقتها، ذلك أنّها على يقين من أنهم أولادها، أمّا الرجال فليس عندهم وسيلة يتأكدون بها، ومن ثم فهم ليسوا دائماً على يقين إذا كان هؤلاء الأطفال أولادهم أم لا"

9

- صراع المرأة والرجل -

إنّ لمكوّنات خريطة الوجود الإلهيّة، التي دارت أحداثها في الملأ الأعلى بين الرجل الأوّل والمرأة الأولى، دوراً حاسماً في الصّبغة التي ستكون عليها الأذهان والنفوس تجاه فهم الوجود رجلاً وامرأة، لذلك كانت حقيقة هذه الخريطة، والتي أفرد لها عز وجل مساحة واسعة في بيانه الكاشف، سبباً رئيسيّاً في توازن العلاقة بين الجنسين من خلال معرفة أنّهما مكمِّلان لبعضهما لا منافسان، وأنّ الحياة هي طريق يسلكانه معاً للوصول إلى الغاية التي خُلِقا من أجلها وبسببها، وتحريف هذه الحقيقة هو البذرة التي نَمَتْ مِنها شجرة أنّ المرأة سبب شقاء الرجل بإخراجه من الجنّة، وأنّ مَهمّتها في الوجود الغِواية، وأنّها رسول الشيطان إلى الرجل، وهي البذرة التي روّاها ونمّاها عبر التاريخ وبثّها في العقائد والأفكار من بذروها في خريطة الوجود المُحرّفة، ليُرسِّخوا في أذهان البشر أنّ المرأة والرجل في صراع دائم وأنّ كلا منهما في مواجهة الآخر، ثمّ وفّروا لهما معاً الحطب والوقود الذي يجعل الصّراع أبديّاً، عبر النظريّات والفلسفات، الأفلام والمسلسلات، العروض والمسرحيات، القصص والروايات، والأغاني والكليبات.

ومن بين هذه الفلسفات والنظريّات، نظريّة "حسد القضيب Penis envy" التي ابتكرها اليهودي القبّالي النمساوي ومحللّ النفس الشهير (سيغيسموند شلومو فرويد Sigismund Schlomo Freud)، وكذلك الافكار والفلسفات التي قام بترسيخها الفيلسوف الألماني واليهودي الخفّي [يهودي لم يصرِّح بيهوديّته] (فريدريك فيلهيلم نيتشه Frieddrich Wilhelm Nietzsche)، والذي كان بأفكاره المتطرِّفة، وكلامه المعادي للأنثى، عدوّ المرأة الأبرز والحاطِّ من مكانتها وكرامتها في المجتمع، وليس ذلك سببه العلاقة الفاشلة مع (لو سالومي Lou salomé) كما يتوهّم الوالِهون بفلسفته، بل فقط لأنّه يهوديّ وتحكمه قِصّة الخلق المُحرّفة التي تظهر آثارها بين تلافيف كتاباته وأقواله.

"المرأة هي مصدر كل الشرور" (Nietzche, The Antichrist, p40)

"المرأة فخ نصبته الطبيعة"

"المرأة! نصف البشريّة الضعيف، المضطرب، المتقلِّب، المتلوِّن"

(Nietzsche, The Will To Power, p460)

والذي قال صراحة إنّ (نيتشه) يهودي، وأنّه كان عضو في محفلٍ مقصور على اليهود بفيينا[محفل ابن ميمون Maimonides]، هو المؤرخ اليهودي المجري الفرنسي (هارون مونس Aron Monus)، في سيرته لنيتشه وأفكاره، وعنوانها "أسرار امبراطوريّة نيتشه Les Secret de l'Empire Nietzchéen"

(للمزيد من التفاصيل راجع دراسة د. بهاء الأمير، اليهود الأخفياء)

وبالنسبة للأفلام السينمائيّة، وهي إمبراطوريّة اليهود التي لا ينازِعهم فيها أحد، فنذكر لك الهوليوديّة منها كفِلم "كل شيء عن حوّاء All About Eve"، الذي كان من إخراج اليهودي (جوزيف مانكيويز Joseph leo Mankiewiez)، وببطولة اليهوديّة (نورما جين مورتنسن Norma Jeane Mortenson) أو كما سُمّيت عند مولدها (نورما جين بيكر Norma Jeane Baker)، وإن لم تألفها بعدُ فهي الممثلة الأمريكيّة الشهيرة (مارلين مونرو Marilyn Monroe).

فيلمٌ آخر بنفس المحتوى كان من اخراج اليهوديّة (نانسي مئيرز Nancy Meyers) "ماذا تريد النساء What Women Want"، وبالصّدفة كان من بطولةٍ يهوديّة من أصول ألمانيّة هذه المرّة، واسمها (هيلين هانت Helen Hunt)، وكرد على هذا الفيلم، قام اليهودي (آدام ميخائيل شانكمان Adam Michael Shankman) بإخراج فيلم "ماذا يريد الرجال What Men Want"، وإن كان بنكهة كوميدية.

أمّا الشّرِكة التي قامت بإنتاج الفيلمين، فهي شركة Paramount Pictures الشهيرة، والتي تأسّست على يد كل من (ويليام وادسوورث هودكينسون William Wadsworth Hodkinson) و (أدولف زوكِر Adolph Zukor) و (جاسي لويس لاسكي Jesse Louis Lasky)، وبالصدفة أيضاً ثلاثتهم كانوا من اليهود!

وإليك الآن الأفلام العربية من إمبراطوريّة اليهود الثانية، ألا وهي السينما المصريّة، والتي بدخولِنا بك إليها يعترضنا مباشرةً فيلم بعنوان "آدم وحوّاء"، وبالصدفة التي تُلاحِقنا شرقاً وغرباً، كانت بطلة هذا الفيلم أيضاً يهوديّة واسمها (ليليان زكي موردخاي)، أو كما استغفلت كثيراً من العرب (ليلى مراد).

فيلمين آخرين بعنوان "آه من حوّاء" و"بنات حوّاء" كلاهما، كالعادة، عن صراع المرأة والرجل، وكلا الفيلمين كانت من أبرز الوجوه التي ظهرت فيهما هي اليهوديّة (إستر شطّاح)، كما أنّ مخرج هذين الفيلمين، الذي لا نعرف كيف ولماذا، قد تزوّج مرّةً باليهوديّة آنِفة الذِّكر (ليلى مراد).

وجميع هذه الأفلام التي ذكرناها لك، مصريّة كانت أو أمريكيّة، هي فقط العدد الذي يستوعبه هذا العمل الذي بين يديك.

والآن المسرح الحديث، والذي سنركّز فيه على العروض المقدّمة في البلدان العربيّة فقط، فنذكر لك على سبيل المثال لا حصر، مسرحيّة "الآخر" التي عُرِضت بمصر بدعمٍ من المعهد الفرنسي للثقافة Institut Français، الذي أسسه سنة 1907 اليهودي (جوليان لوشير Julien Luchaire)، أو مسرحيّة "القنّاع" التي تم عرضها في سلطنة عُمان تحت اشراف المعهد البريطاني للثقافة British Council، وكذلك مسرحيات "م لخّر"+ "آخر مرّة"+ "هو...ة" بالمسرح التونسي.

وجميع هذه العروض محورها والفكرة الرئيسيّة التي دارت من حولها، هي الصراع الذي يتوهّمون ويوهمون من حولهم من الجماهير أنّه أزلي بين الرجل والمرأة، وجميع هذه العروض، بل وجلّ العروض المسرحيّة المقدمة في بلاد العرب، هي عروض مدعومة من قبل المعهد الفرنسي والبريطاني للثقافة، ثم نترك لك أن تخمّن هويّة المؤسسين والمدراء التنفيذيّون.

ودعم هذين المعهدين ليس هو السبب الوحيد في نوعيّة هذه العروض المقدّمة، بل عامل آخر أشرنا به عليك في باب "**خريطة السفير**"، وهو التكوين الذهني والنفسي للمنتسبين إلى الفن، فأغلب من ساهم في تقديم هذه العروض وغيرها من مخرجين وكاتبي سيناريو وممثلين في بلاد الإسلام هم أشخاص تكوّنوا في الغرب وجامعاته، عاشوا حياتهم بأنماطه وعاداته، وصنعت فهمهم للوجود والحياة بالتحريف خريطته، فصارت بذلك علاقة الرجل تجاه المرأة في الوجود التي أخبرنا الله عز وجل بها أنّه:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الروم (21)

صارت في عقولهم الغربيّة المختلّة داخل جماجمهم الشرقيّة علاقة صراع أزلي:

"وإلى رَجُلِكِ يكون اشتياقك وهو يَسُودُ عليكِ." (سفر التكوين 2،3)

أمّا الروايات التي يترتّب على قراءتك لها الدخول في الخريطة المحرّفة من بوّابة الصراع الموهوم بين الرجل والمرأة، فرواية "يوميّات آدم وحوّاء The Private Life of Adam and Eve"، للكاتب اليهودي الأمريكي (صامويل لانغورن كليمنس Samuel Langhorne Clemens) المعروف بـ (مارك توين Mark Twain)، حيث جسّد فيها بخياله الواسع والمبني على خريطة التحريف البني إسرائيليّة، المواجهة والصراع بين (آدم) و (حوّاء) في حياتهما اليوميّة بعد أن طُرِدا من الجنّة جرّاء الأكل من التفّاحة المحرّمة.

وفي كتابه الشهير "صندوق الدنيا"، كتب الأديب (إبراهيم عبد القادر المازني) قصّة عنوانها "من مذكرات حوّاء"، قال إنّه يحاكي فيها رواية (مارك توين)، فإليك عبارة (آدم) على لسان (حواء) لتعرف منها أي حوّاء تلك التي دوّن أديب بلاد العرب مذكراتها:

"فثار بي يلعنني ويقول: «أهذا جزاء حبّي لك أيّتها المرأة الكنود؟ ألم يكن يسعني أن أدعك وحدك للموت الذي جلبته على نفسك، وأن أنجو بنفسي فلا أتبعك؟ أما والله لأنتِ والحيّة سواء، وأنك لألمّ منها وأبغض، وما ينقصك إلاّ أن تكوني على مثل صورتها وألوانها، ليحذرك الخلائق جميعاً، ولتتّقيك ولا تغترّ بصورتك السماويّة ألا لماذا شاءت حكمة الله أن يخلق هذه البدعة ولم يشأ أن يخلق الناس كلّهم ذكراناً ويملأ الدنيا بهم إذا كان لابدّ من خلقهم؟»"!! (صندوق الدنيا ص91)

وبالنسبة إلى الأغاني والكليبات، فجميع أغاني الرّاب الذائعة الصيت عالمياً (خصوصاً الأمريكية والألمانية) هي أغاني مرويّة بمياه التحريف البني إسرائيلي وليست سوى ثمار لمكوناته، ففي كل هذه الأغاني بلا استثناء يبدأ مغني الرّاب الشهير بالتعبير عن المرأة بالشتم والعنف الجنسي والتهديد بالوعيد (خصوصاً إمينام Eminem)، بل ومنهم من يصدر ألبوماً كاملاً عنها.

أمّا السبب الحقيقي والمسألة الأصليّة وراء ذلك كله، فهو الطائفة البني إسرائيليّة ومن يدور حولها من اليهود، لأنّ جميع هذه الأغاني الضّارية والكليبات العدائيّة إنّما يتم تصويرها ومَنتجَتُها ونشرها ودعمها وتمويلها فقط عبر شركات تسجيليّة هي كلها وبدون استثناء، فروع من أكبر شركتين للصّناعة الموسيقيّة في العالم بأسره، الأولى هي شركة Universal Music Group، ومديرها التنفيذي ورئيس مجلس إدارتها الحالي هو اليهودي الانجليزي (لوسيان شارل غرانج Lucian Charl Grainge)، وقبله كان اليهودي (دوغ موريس Doug Morris)، و 80٪ من أسهم هذه الشركة مملوكةٌ من قبل الشبكة الاعلامية الفرنسيّة Vivendi، التي يرأسها اليهودي الفرنسي (يانيك بولوريه Yannick Bolloré).

أما الثانية فهي شركة Warner Music Group، التي قام بتأسيسها سنة 1958 اليهودي من أصول بولنديّة (جاك ليونارد وارنر Jack Leonard Warner)، ورئيس إدارتها الحالي هو اليهودي (ميخائيل لينتون Michael Lynton)، ونائبه في ادارة شؤون هذه الشركة هو اليهودي من أصول أكرانيّة (ليونارد بلافاتنيك Leonard Blavatnik)، أما مديرها التنفيذي فهو رجل الأعمال اليهودي (ستيفن كوبر Stephen Cooper)، وقبله كان اليهودي (إدغار مايلز برونفمان Edgar Miles Bronfman).

بل ماذا لو قلنا لك أنّك ستجد أكثر من 90٪ من المؤسسين والمدراء التنفيذيّون ورؤساء الإدارات في كل هذه الشركات مع فروعها المنتشرة في جميع القارّات الستة، هم أشخاص من اليهود، ونفس الشيء مع الأفلام وشركات إنتاجها والمسارح ودور عرضها، ستدرك حينها أن خريطة الوجود المحرّفة، الجرثومة التي أطلقها بنو إسرائيل في وعي البشر، هي النبع الوحيد الذي تتدفّق منه الكراهية والصراع بين الرجل والمرأة والفساد في العقائد عبر التاريخ، سواء في الغرب الضّال أو في بلاد الاسلام التي يحمل أبناؤها خريطةً إلهيّة معصومة.

وفي الأخير لم يبقى لدينا سوى شيء واحد نسينا أن نخبرك به في بداية هذا الباب، وهو النسويّات الشهيرات اللاتي ساهمن في ترسيخ هذا الصراع الموهوم والمختلق، كالسحاقية الفرنسيّة (سيمون دي بوفوار Simone de Beauvoir)، أو المتطرّفات فكريّاً مِنهنّ كالأمريكيّات (أندريا دووركن Andrea Dworkin) و (أليس والكر Alice Walker) و (كاثرين ماكينون Catharine A. Mackinnon)، ذلك لأنّ جميعهنّ كنّ يهوديّات أو من المتزوّجات من اليهود.

وعلى سبيل الطرافة، فإنّه حتّى مصطلح "ميسوجيني Misogyny" الذي يستخدم كاسم علمي لحالة كره النساء، وبالتحديد هذا الاصطلاح هكذا باللغة الإنجليزيّة، أوّل من استخدمه وساهم في نشره وإدخاله إلى الرأي العام هي الناشطة اليهوديّة (أندريا دووركن)، وذلك في منتصف السبعينات.

بل وحتّى شعار الحركة النسويّة الراديكاليّة، والذي تجده على غلاف هذا العمل الذي بين يديك، هو أيضاً كان نتاجاً للبصمة اليهوديّة التي لا تغيب عنها الشمس، حيث أنّ هذه اليد، التي قالوا إنّها ترمز إلى الآلهة الرومانيّة فينوس Venus، هي في الحقيقة يد انتقلت إليهم من شعار "الرابطة اليهوديّة للدفاع عن الحقوق Jewish Deffence League"، التي أسسها الحاخام الصهيوني (مائير كاهانا Meir Kahane) سنة 1968، وكذلك شعار حركة "كاخ Kach" الصهيونية التي أسسها نفس الحاخام سنة 1971، وشعار الرابطة والحركة هو نفسه الذي استُلهِم منه شعار حركة "حياة السود مهمّة Black Lives Matter"، وحركة "أوتبور !Отпор " الصربيّة التي أطاحت بالرئيس (سلوبودان ميلوسوفيتش Slobodan Milošević) سنة 2000، وكذلك شعار حركة كامارا الجورجيّة التي أطاحت بالرئيس (شيفر دنادزه) سنة 2003، وشعار حركة "أوبورونا Оборона" الطُلابيّة الشبابيّة الروسيّة التي تأسست سنة 2005، وهي حركة تتزعّم القلاقل والاحتجاجات في روسيا، بل وشعار حركة "شباب 6 أبريل" التي تزعّمت المظاهرات والإضرابات في مصر بعد الإطاحة بنظام (حسني مبارك)، وحركة، وحركة، وحركة...

والتشابه في الشعارات والغايات والوسائل المعتمدة هنا وهناك، ليس سببه تأثر هذه الحركات ببعضها البعض كما تتوهّم ويوهمك الأمبريقيّون من المؤرخين والمحللين السياسيين، بل لأنّ الطرف الذي يقف وراء كل هذه الحركات والقضايا التي يواجهونها ويتعاملون معها واحد، لا يغيّر ذهنيّته ونفسيّته عرضٌ في المكان أو اختلاف في اللسان، ولا يذهله عن بلوغ غاياته وأهدافه طولٌ في الزمان.



الرابطة اليهوديّة للدفاع عن الحقوق



Kach كاخ



حركة أوتبور



Black Lives Matter



حركة أوبورونا



Kamara



خلاصة الصراع:

أبالسة البشر تعمّدوا في خريطة الوجود التي زوّروها من الأصل الإلهي أن يجعلوا (حواء) هي التي تستقبل إغواء الشيطان، ثم تغوي (آدم) بالأكل من الشجرة، لتكون هي سبب خروج (آدم) من الجنّة، ومصدر شقائه في الأرض، التي جعلوها منفاه.

فدسّوا في أذهان البشر بذلك بذرة المواجهة والصراع بين الرجل والمرأة، وهي البذرة التي كانوا يتعهّدونها ويقومون بريّها من خلال الحركات السِريّة عبر التاريخ، بإثارة كل طرف، وإمداده بالوقود، واستنفار طاقته، وشحذ هِمّته لحشد البراهين وإقامة النظريّات، وقدح شرارة ذهنه لإبداع القِصص والروايات، الأفلام والمسلسلات، الأغاني والكليبات، وتمويله لتكوين الجمعيّات والحركات، التي تثبت التحريف وتبثه وترسِّخ آثاره.

بنو إسرائيل تعمّدوا في خريطتهم المحرّفة أن يفككوا مكونات الوجود كلها، وليس الرجل والمرأة فقط، وأن يمزِّقوا العلائق بينها، وأن يضعوها في حالة تضارب ومواجهة ونزاع.

فالإنسان في مواجهة الإله لحيازة المعرفة، والرجل في مواجهة المرأة التي كانت سبب شقائه، والمرأة في مواجهة الرجل الذي يُحمِّلها مسؤولية هذا الشقاء، والإنسان في معركة مع الأرض والطبيعة التي هي منفاه ومحل عقوبته.

10

- الغاية من ذلك كله -

*عقائدياً:

والآن جاء أوان أن تعرف الفحوى الحقيقيّة لقضيّة المرأة وتحريرها، ومساواتها التامّة بالرجل وإلغاء الفروق بينهما، وغاية سُفراء الغرب التي لقّوها في راية النضال من أجلها ومن أجل حقوقها، وغرَضهِم من الحَنجلة والوسوسة التي يوَسوِسونها وملأوا بها كتبهم وأطلعناك عليها.

أخبرناك من قبل أن الأم المباشرة لجمعيّة الحكمة الإلهيّة أو الثيوسوفي هي القبّاليّة اليهودية الأوكرانيّة (هيلينا بلافاتسكي)، لكننا لم نخبرك بهوية مؤسس حركة العهد الجديد، أو كما يسميها البعض "حركة العصر الجديد"، فالتي ابتكرتها وقامت باستلهامها من جمعيّة الحكمة الإلهيّة هي القبّاليّة اليهوديّة البريطانيّة (أليس بيلي Alice Bailey)، والقبّاليّون في جمعيّة الحِكمة الإلهيّة، وحركة العهد الجديد، التقطوا نظريّة التطور لـ (دارون) وقاموا ببثها ونشرها وفلسفتها، وتقديمها على أنها حقيقة مطلقة.

تقول (أليس بيلي) في كتابها "المبادرة: الإنسان والنظام الشمسي Initiation: Human and Solar"، الذي أصدرته من دار النشر التي أسستها وتملكها، وهي دار نشر لوسيفر Lucifer Co. Puplishing، ولوسيفر هو الشيطان!:

"عندما وصلت مملكة الحيوان إلى مستوى نسبي من التطور، كان الإنسان الحيوان Animal Man موجوداً على الأرض بالفعل، وكان كائناً ذا جسد قوي، ومشاعر بدائيّة، وفيه بذرة عقل ضامر تصلح لأن تكون نواة لعقل كامل، وفي النهاية خرج الإنسان الحيوان من مملكة الحيوان إلى مملكة الإنسان وقد امتلك العقل والوعي بذاته، ولكن كيف حدث ذلك، هذا ما يمكن إثباته وجمع الأدلّة عليه بدراسة رجال الغابات في إفريقيا" (p 31 p)

فهل يذكرك كلام (أليس بيلي) بشيء؟

نعم!

بالفيلم الهابط الذي صوّره (محمد شحرور) في إفريقيا (إثيوبيا)، وتطوّر الإنسان من البشر القرود، الذي سرقه من القبّالي (زكريّا سيتشن)، ثم موّهه في آيات القرآن وقال إنه يستنبطه منه.

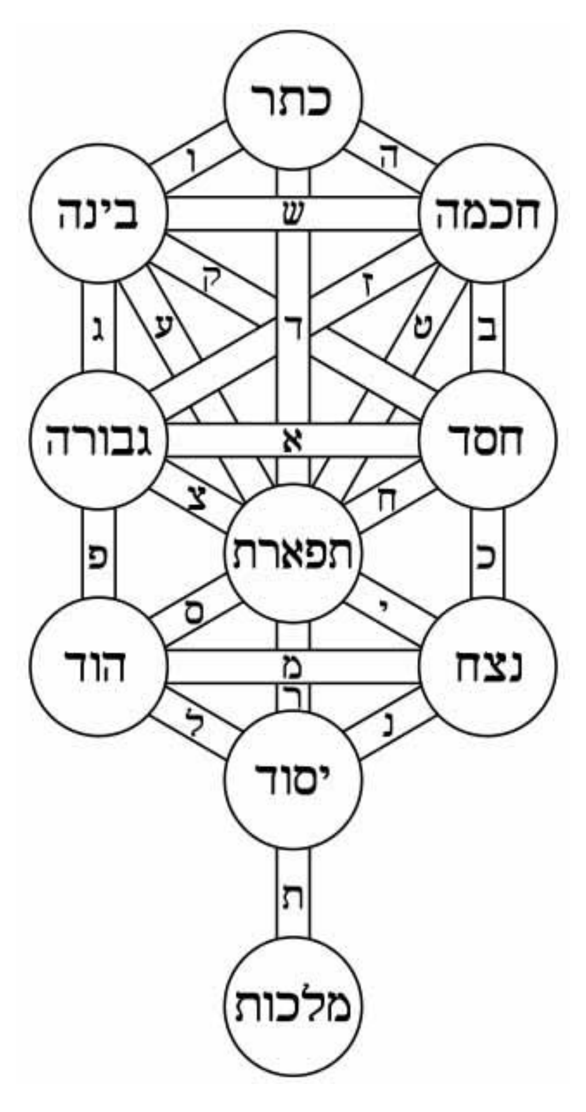
ثم ها أنت ترى بنفسك أنّ (سيتشن) نفسه لم يفعل شيء سوى أن اقتبسها من (أليس بيلي) ومزَجها بفيلم الأنوناكي، مع إضافة ما يلزم من التحوير والاختراعات، و(أليس بيلي) هي الأخرى أخذتها من أمّها الروحيّة (هيلينا بلافاتسكي)، وهكذا دواليك!

ومن عبارة (بيلي) توقن أن ما يقدمه هؤلاء القبّاليون ليس علماً ولا هو حقائق توصّلوا إليها بالبحث والدراسة، بل ابتكارات يبتكرونها وفرضيّات يختلقونها من أجل ترسيخ نظريّة التطور، كلٌّ حسب عقيدته وما يؤمن به من كتب مقدّسة، فكل من خطرت له فكرة منهم ووجد أن امتطائها يقربه من غرضه لفَّها في دراسة وزركشها بالتحليل الفلسفي، ثم زعم أنها ثمرة بحوثه لا نتاج أهوائه!

والآن، عليك أن تعلم أنّ التحديث الذي أدخلته حركة العهد الجديد على نظريّة التطور، هو مزجها مع التطور الروحي، ليبثوا في رؤوس من يُربّونهم فيما ينشئونه من جمعيّات ومعاهد، وما يسيطرون عليه من مدارس وجامعات، أنّ تطور الإنسان الروحي قرين تطوره البيولوجي، وتطور الكون الفيزيائي أو النظام الشمسي تحديداً، وأن الزمن هو الفاعل في هذا كما أنه الفاعل في ذاك.

والنظام الشمسي عند (أليس بيلي) وعند حركة العهد الجديد قد دخل في حقبة جديدة، يسمّونها حقبة أو عهد برج الدّلو Aquarian Age.

ولأنّ الشمس في القبالاه هي نظير أعلى صفة من صفات الذات الإلهيّة في شجرة الحياة "Sefirot"، وهي صفة التاج، ولأن الرأس أو العقل في الإنسان هو نفسه يناظر صفة التاج في الألوهيّة، والشمس في الكون الفيزيائي، فإنّ الحقبة الجديدة التي دخلها النظام الشمسي، يواكبها، عند حركة العهد الجديد، اكتشاف أبعاد جديدة في مسألة الألوهيّة، ودخول البشريّة في عهد روحي جديد.



سفيروت او شجرة الحياة في القابلاه



الإنسان الأول أو (آدم) القديم في القبالاه، وأعضاؤه تناظر صفات الذات الإلـهية في شجرة الحياة، والنجوم والكواكب في الكون المنظور.

واكتشاف هذه الأبعاد الجديدة في مسألة الألوهيّة وتقدّم الإنسان روحيّاً يكون بتطوير العقائد وتجديد الديانات، عبر التأمّل في الكتب المقدّسة وتوليد النظريّات والأفكار منها، وليس فهمها وبناء الحياة والمجتمعات بها، وعبر ابتكار ما يلائم العصر الجديد من عقائد وطقوس وقيم وأخلاق، وليس اتّباع الرسالات والتأسّي بالرسل والأنبياء، ثم مزْج ما يتم ابتكاره في الديانات بمفاهيم العلوم، واستخدام مصطلحات التكنولوجيا في وصف عقائد العهد الجديد وطقوسه.

وعقيدة حركة العهد الجديد وفلسفتها هي ما يفسّر لك كل ما يفعله سفراء الغرب من الطراز الذي ذكرناه لك سابقاً، في كتبهم وفيديوهاتهم وفي كل ما يسرقونه من نظريّات وابتكارات وتحشيشات، يريدون أن يُقرطِسوا بها من يقرؤون لهم ويتابعونهم وإدخالها في رؤوسهم، في غُلاف أنّها تفسيرات واجتهادات.

وما كانت تسعى إليه الحركات السريّة عبر التاريخ، حسب أبحاث خبير الحركات السريّة وتاريخها، المتخصص في الدراسات اليهوديّة دكتور (بهاء الأمير)، هو إزاحة مسألة الألوهيّة بالمرأة والمسألة الجنسيّة، وإحلالها في المجتمعات وفي وعي البشر محلها، مصدراً للأفكار، ومنبعاً للقيم والأخلاق، ومحوراً للنظريّات والمناهج، وضابطاً للسلوك والعلاقات.

واستراتيجيّة أبناء القبالاه والحركات السريّة، وما يبثونه في البشر عبر التاريخ، لإحلال المرأة في صورتها الجديدة محل مسألة الألوهيّة، ولإزالة آثار الديانات في الأفكار والاجتماع والأخلاق والسلوك من المجتمعات، وتخليق آثار بديلة وغرسها فيها بدلاً منها، هي إعادة فهم الديانات وتفسير نصوصها، وصولاً إلى تفسير مسألة الألوهيّة نفسها تفسيراً أنثوياً، وتغيير ما أنتجته من قيم وآداب وشرائع، بعد وصمها بأنها من تزوير الرجال وآثار الذكورة، وإعادة قراءة التاريخ وكتابته وتفسير أحداثه ومساره، وافتراض مسار آخر له، وفرضه على وعي البشر وعلى مجتمعاتهم، بعد وضع المرأة في محوره بدلاً من الرجل.

والآن لن يكون عسيراً عليك بعد أن قرأت هذه السطور أن تدرك أنّ الكتب التي يؤلفها سفراء الغرب، والفيديوهات التي ينشرونها باستمرار، وعناوينها التي وضعوا فيها المرأة، وكل ما بثوه فيها عن عقلها ومساواتها بالرجل، ورفع الظلم الذي أوقعه الأئمة والعلماء عليها، وإعادة تفسير القرآن والإطاحة بالسنّة ووصم تراث عالم الإسلام كله من أجل إنصافها، ليست سوى أغلفة لبث الأفكار القبّاليّة عن المرأة، ولتمرير استراتيجيّة الحركات السريّة في توظيفها في زعزعة الديانات وهزهزة المجتمعات، لكي يعاد تكوينها طبقاً للمواصفات القبّاليّة.

فإليك عيّنة من الأفكار القبّاليّة التي لطّفها سفير الغرب، لكي يتمكن من تمريرها، ثم غلّفها في عبارته البرّاقة وشعاراته الخلاّبة عن المرأة وكمالها وانصافها.

عند تفسيره لقوله تعالى:

﴿۞هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاۖ﴾
الأعراف 189

يقول (علي منصور الكيّالي)، في فيديو نشره في قناته على اليوتيوب، تحت عنوان "وليس الذكر كالأنثى.. من الذي خُلق أولا الذكر أم الأنثى؟؟":

"أيّها الناس يا أولي الألباب، النفس الأنثويّة خُلِقت قبل النفس الذكريّة، فالأنثى خُلِقت أولا كنفس... أيتها الأنثى أنتِ خُلِقتي أولا، ونفس.. النفس الذكريّة خُلِقت منك، فهو بحاجة لكِ"

فأمّا العبارة التي تبدو لك بريئة، ويخبرك فيها مُفكّر الغفلة أن الأنثى هي أصل الخلق، **"فليست سوى فكرة قبالية عريقة، شرّق حولها وغرَّب كل أساطين القبالاه عبر التاريخ، والأنثى هي الأصل، هو اسم كتاب لقناة أخرى من قنوات تسريب الأفكار القبالية وبثها في بلاد العرب، ألا وهي القبالية بالتقليد والمحاكاة الدكتورة نوال السعداوي."**

(بهاء الأمير، التفسير القبّالي للقرآن وفقه البلابيص ص371)

إذا ذهبت مرّة أخرى إلى شجرة الحياة في الصورة التي وضعناها في بداية هذا الباب، ستجد بِلّوراتها العشرة مرتبة في ثلاثة أعمدة رأسيّة متوازية، فهذا هو ما يمثله كل عمود من الصفات عند جميع القباليين:

"العمود الأيمن من الكرات يمثل صفات اللين والأنوثة، والعمود الأيسر هو صفات الشدّة والذكورة، وكرات العمود الأوسط هي الاتزان بينهما، والجانب المؤنث هو الشِخيناه Shekhinah"

والشِخيناه العِبريّة تعني السكينة والطمأنينة والاتزان والقرار.

فالذات الإلهيّة في القبالاه تحتوي على الذكورة والأنوثة، والصفات الوسطى في شجرة الحياة هي التي يتحقق بها الاتزان بين صفات هذه وصفات تلك، ولأنّ الإنسان والكون كانا متوحّدين بالإله، ثم صدرا عنه، فإنّ الإنسان الأوّل في القبالاه، أو آدم قدمون Adam Kadmon، أي القديم، في حالة الكمال السماويّة المتسامية التي كان فيها متوحّداً بالإله، تمتزج في تكوينه الذكورة بالأنوثة، وكذا الكون.

ولأنّ كل صفة في الذات تناظر عضواً في الإنسان، وكوكباً أو نجماً في الكون المنظور، فإنّ اتزان الكون، وتوازن عالم البشر، وعودة الإنسان إلى صورته الكاملة وحالته الروحانيّة المتسامية، لا تتحقق إلا بالتساوي الكامل بين الذكورة والأنوثة في الموقع، والاشتراك التام في الفعل.

فإليك آدم قدمون القبّالي، الذي تمتزج فيه الذكورة بالأنوثة، وقد سرّبته المُزَوِّرَة التونسيّة (أُلفة يوسف)، القبّاليّة بالتقليد والمحاكاة، في ثنايا تفسيرها لمعنى النفس التي خُلق منها الإنسان:

"فلم لا يكون القرآن في تقريره أنّ الإنسان خُلق من ذكر وأنثى يشير إلى الإزدواج الجنسي البيولوجي والنّفسي الذي يتميّز به كل كائن بشري... ولتأويل تبعيض مُتّصل لا تنفيه اللغة العربيّة خلقنا النّاس كلّ واحد منهم حامِلاً في ذاته بعض السِّمات الذكوريّة وبعض السّمات الأنثويّة" (حيرة مسلمة ص168)

ثم إليك آدم قدمون صريحا سافراً، باسمه وصفته، وقد عرّفك به (شحرور) لُغَوِيّاً:

"إنّ لفظ آدم يشمل الذكر والأنثى على السواء، لسبب بسيط هو أن أصل الآدميين بشر" (القصص القرآني ص278)

واشتراك الذكورة والأنوثة في تكوين الذات الإلهيّة هو أحد أصول فكرة مواجهة الرجل بالمرأة في الحركات النسويّة والجمعيّات الحقوقيّة، والمساواة التامّة والحرفيّة بينهما، واشتراكهما الكامل في الصّفات والخصائص والقدرات، وإلغاء الفوارق، وليس التكامل بينهما، وهو أيضاً، كما لابد أنّك قد لاحظت، أصل فكرة ترويج المثليّة الجنسيّة على أنها شيء طبيعي وجعلها من الثقافة العامّة.

والمارِد الذي يسعى أبناء القبالاه والحركات السريّة واليهود إلى أن يحقق لهم هذا الهدف العقائدي، أي المساواة التامّة والحرفيّة بين الجنسين، وكذلك نشر المثلية الجنسية والتحوّل الجنسي، فهو منظّمة الأمم المتّحدة United Nations نفسها، لأنّ جلّ أعضاء هذه المنظّمة هم من معتنقي الحِكمة الإلهيّة "الثيوسوفي" ومن أتباع حركة العهد الجديد، ومن أشهر هؤلاء الأعضاء **"فالسويدي داج همرشولد Dag Hamersjold الأمين العام الثاني للأمم المتحدة، الذي أقام غرفة لممارسة طقوس الثيوسوفي داخل جناح الزوار في الأمم المتحدة، ووضع تصميمها وأشرف على إنشائها بنفسه، ويوثانت Uthant الأمين العام الثالث"**

(بهاء الأمير، شفرة سورة الإسراء ص334)

والمجلس الاقتصادي الاجتماعي التابع للأمم المتحدة ECOSOC، الذي يُصدِر اتفاقيّات المرأة وحقوق الطفل والإنسان، فمموّله الرئيسي والأكبر من بين كل الممولين لمشاريعه وقراراته، أو المعمل الذي يُنتِج بدراساته وأفكاره المادّة الأوليّة لهذه الاتفاقيّات والقرارات، هو مؤسسة Lucis Trust، وهي أيضاً من تقوم بنشر مطبوعات الأمم المتحدة، و Lucis Trust هذه أسسّتها القبّاليّة (أليس بيلي) مع أتباع حركتها التي صِرت تعرفُها، وجميع أفكار هذه المؤسسة ودراساتها ترتكز على كُتب (بيلي) وتتمحور حول فلسفتها، كما هو موضّح في الموقع الرسمي للمؤسسة: www.Lucistrust.org.

وشجرة الحياة التي تمثل الذات الإلهيّة وتحوي الذكورة والأنوثة، وما تفرّع عنها من المساواة التامّة بين الرجل والمرأة وإسقاط الاختلافات بين صفات كل منهما وخصائصه وقدراته، **"ليست سوى إحدى ابتكارات القبالاه على التحريف الذي حرّفه بنو إسرائيل لقصّة الخلق في سفر التكوين."**

(بهاء الأمير، التفسير القبّالي للقرآن وفقه البلابيص ص372)

وإليك البرهان من خريطة الوجود البني إسرائيليّة:

"وَقَالَ اللهُ: نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ البَحْرِ وعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وعَلَى البَهَائِمِ، وعَلَى كُلّ الأَرْضِ، وعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ التِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ، عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ، ذَكَراً وأُنْثَى خَلَقَهُمْ" (سفر التكوين1: 26-27)

ومترجم الكتاب المقدس، في هذه الترجمة الرسمية، وضع لفظ الجلالة مكان كلمة: إيلوهيم Elohim في الأصل العبري، والتي تدل على الجمع وتعدد الآلهة.

ومجتمع الآلهة المتعددة والمتساوية في القدرة والإرادة والفعل، ذكوراً وإناثاً، في سفر التكوين، هو الأصل الثاني في الحركات السريّة والعلنيّة للمساواة الحرفيّة بين الرجل والمرأة، وليس إكمال كل منهما لخصائص الآخر ومهامه.

فالمساواة بينهما كما ترى بنفسك هي شيء وهمي وأصله عقيدة ضالّة، سبقها تحريف بني إسرائيل، والإسلام لا يهدف إليها كما قال الأمّي (الطاهر الحداد)، أو كما يصرخ الأميون في زمانك هذا، بل ولا يهدف حتّى إلى المساواة بين طبقات المجتمع نفسها، لأنّ المجتمع البشري، برجاله ونسائه، لا يقوم إلا على تنوّع طبقاته وتفاوت درجاته واختلاف فئاته، عِلماً ومالاً وثروة، ومنزلة وسلطة، والتوازن بين الطبقات والدرجات والفئات هو في وعيها أنها تتكامل، ولا غِنى لبعضها عن غيرها، وليس في كونها متساوية، ولو أنها تساوت مساواة تامّة، لانهار عالم البشر، وما قام لهم اجتماع.

وهو بالضبط ما أرشد إليه عز وجل في خريطته وخُطّة إصلاحه للبشريّة أنه تكوين المجتمع البشري، ولا يقوم إلا به:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ النساء 32

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ الانعام 165

واستقرار المجتمع وقرار الجميع ليس في المساواة الحرفيّة، وهي مساواة وهميّة لا وجود لها، ولو وجدت ما قام المجتمع، ولكنه فيما يغرسه فيهم مجتمع الصلاح من أنّ ميزان التفاضل ليس في المال أو المكانة أو الأجر أو السلطة أو الطبقة، بل هو في إتقان صاحب الموضع لما هو منوط به ويتناسب مع تكوينه، ورضاه بما منح وقسّم الله عز وجل له، من غير أن يدّخر وسعاً ولا جهداً يرتقي به إلى ما هو ممنوح ومقسوم له.

والاستقرار والقرار هو في إيقان الجميع أنّ الميزان هو الفضائل الذاتيّة، والمكونات التي يكون الإنسان بها إنساناً، العقل والنفس والخُلُق، يحقق بتزكيتها إرادة الله عز وجل منه، ويتقرّب بها إليه.

﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ الحجرات

وهو ما فطن إليه ابن المحيط القرآني ذهنه، بصيراً به قلبه، ولم يتلوّث بغيره عقله، غير المركّب نموذجه، ولا الأمبريقي في فهم البشر منهجه، دكتور (مصطفى محمود):

"الدنيا ليس فيها مساواة

لا مساواة في أي شيء

كل وردة لها رتبة مختلفة من حيث الشكل والرائحة والجمال لا تتساوى وردتان ... وفي الفاكهة نجد في عائلة واحدة كالبلح مثلا عشرات الرتب والدرجات والأصناف ... وعلماء الحشرات يصنفون لنا من الحشرة الواحدة كالنمل أكثر من ألف نوع وكل أسرة من أسر النمل يقولون لنا إن فيها أكثر من مائة مُصنّف ومُصنُف.

وفي الإنسان يزداد التفاوت والتفاضل.. فنجد الذكي والغبي، والأحمر والأسود والأصفر والأبيض والأشقر، والطويل والقصير والسمين، والأصلع والكثيف الشعر.. ونجد من يولد بحنجرة من ذهب ومن يولد بحنجرة من خشب.. ومن يولد جميلا ومن يولد قبيحا..

بل إن كل إنسان يحمل بصمة أصبع مختلفة.

وكل إنسان هو رتبة في ذاته.

كل إنسان يتسلم لحظة ميلاده بطاقة تموين وإذن صرف وشيك، وثروة من المواهب والتسهيلات خاصة به... ومعنى هذا أن الدنيا كلها تقوم على قانون التفاضل والتفاوت وأن عدم المساواة هو القاعدة في كل شيء في النبات والحيوان والإنسان والجماد.. حتى الجماد كل مادة فيه لها بلورتها الخاصة ولها وزنها الذري... هكذا أراد خالق الكون لخلائقه

هو أراد، لحكمة يعلمها، أن يخلقنا درجات... وهو يعلم من البداية استحقاق كل واحد منا وقيمته ولكن نحن لا نعلم... وقانون التفاوت والتفاضل هو قانون الوجود وهو العدالة بعينها وإنما الظلم بعينه أن يتساوى غير المتساوين.

وقصارى العدل الأرضي هو أن يساوي بين الفرص والتسهيلات وأن يمنح كل فرد حق الدواء والكساء وفرصة التعلم.. ولكنه لا يستطيع ولا يصح له أن يساوي بين الناس ذواتهم" (الشيطان يحكم ص 143-146)

يقول القبّالي الإنجليزي (ماك جريجور ميثرز Mac Gregor Mathers)، وهو أحد شركاء القبّالي وأبي الشيطانيّة الحديثة (أليستر كراولي Aliester Crowly) في تأسيس جمعيّة الفجر الذهبي Golden Down، وهي أشهر جمعيّة لممارسة السحر وتعليم فنونه في تاريخ الغرب، في كتابه "القبالاه سافرة The Kabbalah Unveiled"، عن طمس الذكور لأنوثة إيلوهيم، من أجل تشويه الأنثى وإحلال العقائد الذكوريّة:

"لقد بذل مترجمو الكتاب المقدّس كل ما في وسعهم من أجل طمس كل إشارة إلى حقيقة احتواء الألوهيّة على الأنوثة والذكورة معاً، ولذا عمدوا إلى ترجمة إيلوهيم، التي هي في العِبريّة جمع المؤنث، إلى إله، التي هي مفرد مذكر"

(p 21)

فإليك صورة من كلام القبّالي (ميثرز)، في كتب سفراء الغرب، بعد أن حوّروه وأبعدوه عن الذات الإلهيّة، حتّى يتمكنوا من دسّه في أدمغة البقر:

"فإنّ الفقهاء والمفسرين لم يدّخروا في مقابل ذلك أيّ جهد في اعتماد الإجماع البشري أو بالأحرى الذكوري واعتماد أخبار الآحاد والقراءات الشاذّة حتّى يغمطوا المرأة حقّها في بعض الأحيان..." (ألفة يوسف، حيرة مسلمة ص57)

"ولقد حاولنا من خلال ما سبق في هذا الفصل تبيين مكانة هذه الإسرائيليات وموقعها في كتب التفسير، وكيف تسرّبت إلى داخلها، ونورد فيما يلي مثالاً على هذا التناقل الذي أثّر على تصوّر العقل الإسلامي عموما عن المرأة التي تكرّست صورتها الدونيّة في ظلال مثل هذه النصوص.

فكتب التفسير تعتمد على مرويّات لا يخفى على القارئ أنها من الإسرائيليات التي وُظّفت في تكريس الصورة السلبيّة عن المرأة"

(محمد شحرور، القصص القرآني ص 86)

فتفهم من ذلك أنّ السفيرة الحائرة ورفيقُها المعجب بعبقريّته الفذّة، في غلاف إنصاف المرأة، يريدان إعادة تفسير القرآن تفسيراً يجعلان فيه المرأة محوره، وهتك نسيج المجتمع المسلم، ونسف معاييره وموازينه التي صنعتها الأهواء، وإزالة أعرافه وتقاليده التي كوّنتها مؤامرة ذُكوريّة، ليُحِلاّ محلها البدائل الأنثويّة، والمؤامرة الحقيقيّة هي ما يريدانه ومن حَشَو رأسيهما به.

ونسبة الدين والتفسير والفقه والتاريخ والأخلاق والعلاقات الاجتماعيّة للذكور، والتي بثها كل من تكلّم عن المرأة في كتبهم، بداية من (قاسم أمين) و(الطاهر الحدّاد) ووصولا إلى أحدث رائد في قائمة التزوير الفكري، وجعلوها وصمة، **"هي جزء من معجم الألفاظ والمصطلحات التقليديّة في جميع الحركات السريّة، وفي حركت العهد الجديد التي ورثت تراثها وطورته، والإطاحة بالعقائد والشرائع وتشويه التاريخ بعد وصمها بالذكورية، والدعوة إلى تغيير العقائد وتعديل الشرائع بالتفسيرات الأنثويّة، وإصلاح التاريخ بإعادة تدويره حول الأنثى، وتوليها زمام قيادته وتوجيهه، هي من الاستراتيجيات الكلاسيكية لهذه الحركات"** (بهاء الأمير، التفسير القبالي للقرآن وفقه البلابيص ص375)

فالأنثويّة، ومركزيّة الأنثى من الدين والتطور الروحي وتقدم المجتمعات وحركة التاريخ، هي إحدى المعتقدات والمكونات الرئيسية لحركة العهد الجديد، كما تخبرك (كارلين كراولي Karlyn Crowley)، وهي ناشطة نسائيّة وباحثة متخصصة في الحركات النسائيّة، في كتابها "أنثويّة العهد الجديد Feminism's New Age":

"ثقافة العهد الجديد هي ثقافة المرأة، ولذا ارتبط ظهور حركة العهد بازدهار الموجة الثانية من الحركة الأنثويّة Feminist Movement منذ ستينيات القرن العشرين ... والحركتان معاً كانتا خلف صعود عبادة الإلهة الأنثى في السبعينيات، وتعتقد الحركتان أن المرأة هي التي كانت تحكم الأرض منذ عشرة آلاف سنة، وأنّ حُكمها كان يتسم بالحكمة والسلام، وأنّ الحكم سيعود إليها مرة أخرى في المستقبل، وقد أَوجدت عبادة الإلهة الأنثى فضاءًا خارج الديانات الكبرى للنساء، خصوصاً السحاقيات Lesibians، لكي يتمكّن من تأسيس

كنائس خاصة بهن، وممارسة طقوس مقدّسة تقتصر عليهن، مثل طقوس الزواج بينـهن" (p 8-19)

وهذا (مايكل يورك Michael York) المُحاضر في مركز سوفيا Sophia Center لدراسة الأديان، في بريطانيا، يؤكد لك في كتابه للتعريف بالمعتقدات والأفكار الرئيسيّة لحركة العهد الجديد "حركة العهد الجديد من الألف إلى الياء The A to Z of New Age Movements"، ما أخبرتك به (كارلين كراولي) الأمريكيّة عن علاقة الحركة الأنثويّة وعبادة الأنثى بحركة العهد الجديد، وبالثيوسوفي و(هيلينا بلافاتسكي) و(أليس بيلي).

يقول (يورك) في تعريف الروحانيّة عند الحركة الأنثويّة:

"هي إعادة تفسير الدين والروحانيّة ومسألة الألوهيّة Theology التي أنتجتها الأفكار الإصلاحيّة للحركة الأنثويّة ... وروحانيّة الحركة الأنثويّة وثنيّة وترتكز على الإلـهة الأنثى وليس على الإله الأب.... وأغلب أفكار الحركة الأنثويّة وعقيدة الإلـهة الأنثى ومصطلحاتها وممارستها قد اندمجت في الحركة الأكبر، حركة العهد الجديد، وعبر المنزلة الرفيعة للنساء في حركة الأفكار الجديدة والثيوسوفي، مثل ماري بيكر إيدي Mary Baker Eddy، وإما هوبكنز Emma Hopkins، وهيلينا بلافاتسكي، وآني بيسانت Annie Beasant، وأليس بيلي، وهي الحركات والأفكار التي كانت حركة العهد الجديد امتداداً لها، فإن ثمّة اتجاهاً داخل روحانيّة حركة العهد الجديد يضع المرأة في منزلة سامية وأرفع من كل منزلة لها في المعتقدات التقليديّة، وأصبحت الألوهيّة المؤنثة والأيقونات والرموز الأنثويّة أدوات لإضعاف النظام الأبوي Patriarchy ومواجهة الرجال" (p 71-72)

وكلام الباحثة (كراولي) والمحاضر (مايكل) هنا يلخص لك كل ما فعلته الدكتورة (نوال السعداوي) طوال مسيرتها الكتابية.

ثم إليك عبارة من كتاب "بُنيان الفحولة: أبحاث في المذكّر والمؤنث"، وضعتها (رجاء بن سلاّمة) رائدة التزوير الحداثي في تونس، لفّت فيها هي الأخرى استراتيجيّة الحركات السريّة الكلاسيكيّة بعد أن حقنتها حركة العهد الجديد بالإستروجين والبروجستيرون القبّالي، لِوَصم التاريخ الذي صنعته الديانات الكتابيّة بالذّكورة، بل وحتّى الذّات الإلهيّة نفسها، ليكون ذلك ذريعة لإعادة رسم التاريخ وإصلاحه، بوضع الأنثى محل الذّكر في محوره وقيادته:

"يمكن القول إنّ الإسلام شأنه شأن اليهوديّة والمسيحيّة، ولكن على طريقته الخاصّة، قدّم دعامة دينيّة لسلطة الرّجل على المرأة، والنظام الأبوي.

يتّضح التوجه التوحيدي المتمثّل في أخذ الصفات الإلهيّة للأنثوي الأمومي وتحويلها لصالح إله خالق أبوي، من خلال الآيات التي تقابل بين الله من ناحية والآلهة الأنثويّة القديمة من ناحية أخرى" (بنيان الفحولة ص29)

فهل أدركت الآن لماذا تسمّي حركة العهد الجديد الحقبة التي دخلتها البشريّة مع ظهور نظريّة التطور بحقبة برج الدلو؟

لأنّ أوّل شرط ينبغي توافره فيمن يؤمن بمعتقدات الحركة ويُسرّبها إلى المجتمعات نيابة عنهم وهو لا يعي بذلك كله، كغيره من القنوات، هو أن يكون دلواً!

*اجتماعياً وسياسياً:

كل ما ذكره الرائد المحرر عن مراحل تطور البشرية ونشوء العائلة وأصل استعباد المرأة وتحريرها، وكل ما ضمّنه في كتابه من تفسير لهذه النظرية، بل وما أورده من استدلالات وأمثلة، وما وصفه من الصورة التي يجب أن تكون عليها المرأة عند حصـولـها على الحريّة الكاملة مع وصول التمدّن البشري إلى تمامه، كل ذلك، كما أخبرناك من قبل، سرقه من كتاب (إنجلز) "أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة"، وفي كتاب الرائد المحرر عبـارات وفقرات كـاملـة، كـل ريادته فيها أنه نقلهـا من كتاب (إنجلز) بعد أن ترجمها ومَصَّرَها ثم نسبها لنفسه، وبالطريقة ذاتها مع كتاب (أوغست بيبل)، كذلك كانت ريادة المحرر الثاني.

لكن لأن ريادة الثاني تنقصها الحِنكة والمهارة التي يمتلكها الأول، والتي أريناك البعض منها، لذا فقد اضطر إلى الريادة من كتب الرائد الأول.

فإليك القليل من هذه الريادة لتدرك أنّ المجتمع الذي قاما بتحليل أوضاعه ونقدها، سواءًا المصري أو التونسي، ليس سوى مجتمعاً موهوماً مختلقاً ولا يمتُّ للواقع بأي صلة، ولتوقن في الوقت نفسه أن روّاد التزوير هؤلاء يستحقون هذا اللقب عن جدارة:

"ومنها حضور الأطفال في حفلات الأفراح، ومشاهدتهم رقص الباغيات، وسماعهم الأغاني التي تدور كلها على الحب الشهواني"

(قاسم أمين، المرأة الجديدة ص37)

"احتفالات تقام فيها يشاهدها الصبيان والفتيات وكم هي أيضاً دنيئة وسافلة تلك الاحتفالات التي تقام في الأعراس بحضور العاهرات بأوراق رسمية يرقصن وينشدن أغاني العهر الصريح"

(الطاهر الحداد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع ص146)

"ومن أقبح ما يصنعه كثير من الآباء مع أبنائهم، أن يشتم ويسب الوالد ولده بألفاظ لا يدري الطفل معناها، فيجيبه الولد بمثلها، فإذا أحسن الإجابة ضحك أبوه مسروراً، واستبشر بنجابة ولده" (قاسم أمين، المرأة الجديدة ص62)

"وأغرب من ذلك عندنا أن يلقن المربون أبنائهم كلمات الشتم القبيح لفلان أو فلان ويستحثوهم على ذلك بالعطاء إن هم نطقوا بتلك الكلمات، وما القصد إلا الضحك والفكاهة والالتذاذ بنطق الصغار الذين يذهبون ضحية هذه المهزلة السافلة" (الطاهر الحداد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع ص147)

"وقد جرَّنا حُبّنا لحجاب النساء إلى إفساد صِحَّتهنّ، فألزمناهنّ القعود في المساكن، وحرمناهنّ الهواء والشمس وسائر أنواع الرياضة البدنيّة والعقليّة"

(قاسم أمين، تحرير المرأة ص50)

"ولنضف إلى هذا كله أن انحباس المرأة في المنزل له التأثير العظيم في صحتها من حيث ضعف الهواء به وبطء تجدده والحرمان فيه من الرياضة البدنيّة والنفسيّة الواجبة للقيام بأعبائه"

(الطاهر الحداد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع ص215)

ثم إليك القليل من ريادته الأخرى من كتاب الألماني (أوغست بيبل):

"وهكذا يذهب الرجل إلى الحانة بحثاً عن المحادثة التي لا وجود لها في بيته، وهناك يشرب، ومهما قل انفاقه، يكون هذا الانفاق فوق طاقته وقد يجرب أحياناً الميسر gambling، وهذه رذيلة يكثر ضحاياها لدى الطبقات الراقية، ويخسر فيه أكثر مما ينفق في الشرب بعشرة أضعاف"

(August Bebel, Woman Under Socialism p103)

"ولقد اتسع للرجال فرارهم من بيوتهم لطلب الراحة في غيرها إلى حدّ بعيد، فهم يقضون أوقات راحتهم في المقاهي يلعبون الأوراق، وفي المسارح وسائر بيوت اللهو والفساد...ففي المقهى وفي الملهى وفي المطعم، حيث تصرف الأموال الكثيرة في غير واجب ولا حق.. لأن رجال هذه البيوت يلزمهم أن ينفقوا ما يكون أو يحصل بأيديهم من المال في الفجور والسكر والميسر وكل ما يجلب الترفيه والتسلية في حياتهم المنفصلة تماماً عن أزواجهم"

(الطاهر الحداد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع ص202-211)

"مع المرأة، على العكس من ذلك، التعليم، بقدر ما يحضر على الإطلاق في درجة أعلى، تهدف بشكل أساسي إلى تكثيف مشاعرها، في الثقافة الرسميّة والمهذّبة: الموسيقى، الحروف، الرسم، الشعر، كل ما لا يؤدي إلى تعكير حساسيتها العصبية nervous sensitiveness وهمتها حتى أعلى نغمة"

(August Bebel, Woman Under Socialism p113)

"متى أحسنت المرأة العلوم والصناعات الضرورية لرشدها ووظيفتها، فكم هي في حاجة إلى تعلم الفنون الجميلة كالشعر والموسيقى والتصوير، بل كم نحن أيضاً في حاجة إلى بروزها في هذه الناحية من الحياة، ففي هذه الضروب من الأدب أنشودة الروح للكمال"

(الطاهر الحداد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع ص241)

فالفقيه (الطاهر الحداد)، كما ترى، هو فقيه التزوير، الأخ الأصغر لإمام التزوير (قاسم أمين)، فهما كما قال الشاعر:

كلا الأخوين ظراط ولكن ... شهاب الدين أظرط من أخيه!

وما ذكره كلا من (إنجلز) و(ببيل) ليس سوى غلاف لإخفاء بـاطن نظريتهما وتمويه مصدرها الذي يغرف منه كل المحررين، من الشرق والغرب، ولا يعلنونه.

فقد قام (إنجلز) و(ببيل) في كتابيهما بتركيب أبحاث (مورجان) على نظرية رجل آخر هو اليهودي الألماني (يوهان آدم فيسهاوبت Johann Adam Weishaupt)، مؤسس منظمة النور Illuminati البافارية الشهيرة.

فإليك من كلمات (آدم فيسهاوبت) نفسه الجرثومة التي أطلقها في القرن الثامن عشر وحررتها الثورة الفرنسية:

"إن أول مرحلة في حياة البشر جميعاً هي الهمجيّة والوحشيّة والطبيعة الخشنة... ثم لما زادت الأسر وغاضت البداوة وظهرت المِلكية، حاز الرجال القوّة، ثم عبر الأسر الزراعيّة اجتمع كل منهم إلى الآخر ليعيشوا معاً، وهنا كان مصرع الحريّة واختفاء المساواة..."

(A.Barruel, Memoirs Illustrating The History of Jacobinism)

ونكاد نراك تضع رأسك بين يديك وأنت تهمس لنفسك:

اللهم صل على سيدنا محمد، أين، أين رأيت هذه العبارة؟؟

العبارة التي قرأتها الآن لليهودي (آدم فيسهاوبت)، هي نفسها التي نقلها السفير الغربي وأقام عليها نظريته المسروقة في كتابه المزوّر.

فهاك رائد تزوير المرأة يُذكِّرك مرّة أخرى بقصّته العجيبة للخلق إن نسيتها:

"علاقات الرجل بالمرأة كانت متروكة إلى الصدفة ولا تفترق عمّا يشاهد بين الأنعام... ثم لمّا قامت الإنسانيّة على طريق المدنية تغيّرت صورة هذا الرقّ، واعتُرَف للمرأة بشيء من الحق، ولكن خضعت لاستبداد الرجل... ولمّا ودّع الإنسان بداوته، واتّخذ وطنا قاراً، واشتغل بالزراعة وُجِد نظام البيت... وترتّب على دخول المرأة في العائلة حِرمانها من استقلالها"

(قاسم أمين، المرأة الجديدة: باب المرأة في حكم التاريخ)

وأفكار اليهودي (فيسهاوبت) التي سرقها السفير الغربي من كتاب (إنجلز) الذي نقلها من أبحاث (لويس مورجان)، ثم أعاد نشرها وصياغتها (أوغست بيبل)، هي الكتاب المقدّس الذي تكوّن به كل ما تراه في العالم من منظّمات وجماعات وجمعيّـات نسـائيّة ومتحررة.

فإليك مثالاً واحداً، والباقي على شاكلته.

في قمّة النساء في البرلمانات داخل قاعة البرلمان الأوروبي European Parliament ببروكسيل Espace Léopold، سنة 2013، وأثناء القائها خطاباً جريئاً حول قضية المرأة، قامت البرلمانيّة الأردنيّة الشهيرة (رولا الفرا الحروب)، وبطريقة عفويّة وبريئة، بترتيل سورة (آدم فيسهاوبت) مع بعض مصطلحات حركة العهد الجديد ومعاجمها:

"في بداية التاريخ، كانت المجتمعات البشريّة أموميّة matriarchal society، ولكن عندما تغيّرت الأدوار لكل من الرجال والنساء اتخذت السلطة أشكالاً أبويّة patriarchal form، ومن هنا بدأت معاناة البشريّة.. مع تغيير الأدوار تغيّرت المكانة الاجتماعيّة للمرأة، وبالتالي تأثرت الحقوق سلباً بهيمنة الرجل... واتخذت النساء المقعد الخلفي"

أمّا الهدف الحقيقي الذي يُغَلَّف في شعار تحرير المرأة البرّاق، وغاية كل من اشتركوا في رفعه، تأليفاً وسرقة، فهو تدمير الأسرة التي صارت مرحلة بدائية في تطور المجتمع البشري، ليكون تمام تطوره ووصوله إلى المدنيّة هو تفكيكها.

وهو ما صرّح به (فريدريك إنجلز) نفسه في البيان الشيوعي الشهير:

"إننا نسعى إلى محو الأسرة... إنها تعتمد على الرأسمال والربح الشخصي... فهل نُلام أننا نريد أن نمحو استغلال الآباء لأبناء. إننا نفخر بذلك ونقول: إننا نمزّق هذه العلائق لنستبدل بالتربية العائلية التربية الاجتماعية"

وهو نفسه ما تجده في كتاب السفير الغربي وإن لم يصرّح به.

فإليك الصورة التي وضعها للمرأة بعد تحريرها والتي يريدها أن تكون عليها:

"بنات في سن العشرين يتركن عائلاتهن ويسافرن... ويقضين الشهور والأعوام متغيبات في السياحة، متنقلات من بلد إلى أخرى... من حرية المرأة الغربية أن يكون لها أصحاب غير أصحاب الزوج (؟؟)، ورأي غير رأي الزوج، وأن تعيش بالطريقة التي تراها مستحسنة في نظرها"

(قاسم أمين، المرأة الجديدة ص41)

وهذه (سيمون دي بوفوار)، الكاتبة النسويّة الفرنسية السُحاقيّة، التي يتولّه بها وبأفكارها المُلوّثة بالقبالاه عن المرأة أناس كثيرون، تُخبرك بموقفها وغايتها تجاه الأسرة ولماذا، وذلك بعد أن صدّعت لك رأسك في بداية كتابها بنظرية (فيسهاوبت) التي نقلتها على لسان (إنجلز) طبعاً:

"منذ أن تسببت الرغبة في تكريس الأسرة volonté de perpétuer la famille والمحافظة على التراث في اضطهاد المرأة، إلى درجة جعلتها تهرُب من الأسرة (أي الهروب من مهمّة تكوين الأسرة)، **لذا فهي أيضاً تهرب من هذا الإدمان المطلق، فإذا أنكَر المجتمع المِلكيّة الخاصّة ورفض الأسرة refuse la famille، فإنّ حظّ المرأة ووضعها يتحسّن تحسّناً كبيراً."**

(S. de Beauvoir, Le Deuxième Sexe I : Les Faits et Les Mythes p 120)

ثم إليك (فريدريك إنجلز) في مشهد آخر وقد ارتدى الجُبّة والكبّوس:

"ويزيد الأروبيون في تقدير مستقبل الأبناء أكثر من ذلك فيضعون قدراً من المال في بنك باسم الوليد... وليس له بعد ذلك شيء من أهله ولو كان مالهم جبالاً من ذهب، وهو حرّ في عمله وفي منزله والبلاد التي تناسبه للسكنى أو للعمل فضلاً عن استقلاله بمحل سكناه.

أما عندنا فلا تعليم ولا ثقافة يتهيأ بهما أطفالنا لاستقبال الحياة سوى سلطان آبائهم... ثم لا يفكرون بعد ذلك إلا في جبرهم على الطاعة الوالدية لهم في كل شيء... إن الآباء والأمهات يجهلون فضيلة التربية الاستقلاليّة وإعداد أبنائهم لأخذ نصيبهم من مسؤوليّة الحياة، فهم يربونهم على الطاعة لأوامرهم فيتخرجون ضعفاء العزيمة خائري الفكر... فهو خلو من كل ما يعد الأبناء والبنات إلى الدخول في الحياة البيتية والاجتماعية"

(الطاهر الحداد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع ص157-158)

فإذا تفككت الأسرة لم تعد وحدة بناء المجتمعات، في الوقت الذي تكال فيه الضربات والطعنات لكل مكونات المجتمع ومصادر روابطه وعلاقاته، العائلة والمدارس ودور العبادة والحكم والسلطة، فيصير عالم البشر كله أفراداً لا يربط بينهم أي شيء، ليقعوا جميعاً فريسة لوسائل "التفاصل" الاجتماعي والخطاب العام ومن يختبئون فيها ويسيطرون عليها.

من الأهداف الحقيقية الأخرى التي تستخفي في غلاف تحرير المرأة هو نشر الانحلال.

فالمرأة المتحررة لن تصل إلى الصورة التي وصفها الرائد المصري وخَلَبَتْ لُب الفقيه التونسي، وسرقاها من (إنجلز) و(ببيل) الألمانيان، والتي أرادها (فيسهاوبت) اليهودي إلا بعد أن يكون قد زالت من عقلها ونفسها ومن تكوينها كله العقائد وركائز الأديان ومعاييرها للقيم وموازينها للأخلاق، وصار إلهها هواها ومرشدها نوازعها.

فإذا وصلت المرأة المتحررة إلى هذه الصورة صارت أعظم وسائل نشر الانحلال وتغيير عقول الرجال وإذابة قواعد الأديان، وهزهزة معايير القيم والأخلاق.

وهو ما أراده ونص عليه (آدم فيسهاوبت) صريحاً:

"لا توجد وسيلة لتغيير الرجال أشد قوّة من النساء، لذا يجب أن نتسلل إلى عقولهن ونبث فيها أفكاراً عن التحرر emancipation من طغيان المجتمع، وعن الاستقلال والنهوض بأنفسهن، وهذا سوف يدفع عقولهن المستعبدة إلى طلب التحرر من كل قيد، وإلى الانطلاق في أي اتجاه، ومن ثم يصرن وكيلات لنا ويعملن من أجل غايتنا في حماس وهن لا يشعرن بذلك، والشيء الوحيد الذي

سوف يبحثن عنه ويحرصن عليه هو إشباع رغبتهن في الظهور وسماع عبارات الإعجاب والاستحسان"

(Proofs of Conspiracy Against All Religions and Governments of Europ, p111)

وإليك المعنى الحقيقي لتحرير المرأة الملفوف في رايتها من الثورة التي صنعتها ورفعتها[الفرنسية].

يقول معاصر الثورة (جون روبيسون John Robison) في كتابه "براهين وجود مؤامرة ضد جميع أديان أوروبا وحكوماتها Proofs of Conspiracy Against All Religions and Governments of Europ " إنه في يوم 6 جوان سنة 1794م أصدر المؤتمر الوطني، الذي يضم الجمعية الدستورية والجمعية التشريعية، بياناً موجهاً للمرأة، يقول (روبيسون) إنه انحط بها إلى مرتبة الحيوان، وجاء فيه:

"لا شيء مجرم في اختلاط الجنسين، فلا شيء يحط من قدر المرأة... إننا نريد أن نمنعها من قتل ثمرة حبها الحرام unlawful love(!!)، بإزالة خجلها وتحريرها من الخوف إذا أرادت أن تشبع رغباتها" (p 251)

ثم إليك فقيه العهد الجديد، نصير المرأة التونسية المزور، وكيف سعى هو الآخر إلى إزالة خجلها وحيائها، بعد أن قام بتشويه صورته في مقابل تشجيعها على إشباع رغباتها، من خلال عباراته الخلابة والبريئة ككل المحررين:

"العاطفة هي ينبوع الحب وقوام الألفة وأساس التعاون على الحياة أو هي الحياة بعينها، والمرأة في عمل واجبها أحوج ما تكون إليها، فيجب أن نصقلها حتى لا تذبل تحت تأثير ما نسميه بالحياء الشرقي الذي أخمد في المرأة روحها عن الإشعاع وأخرس ملامحها عن النطق... وأخص ما تمتاز به المرأة أيضاً هو إغراقنا في بث خلق الحياء الذي نربيها عليه... لو تأملنا كيف يتطور خلق الحياء في المرأة وما نشأ عنه في نفسها من نتائج لرأينا أنه بصورته الحاضرة أكبر سبب فعال لخيبتها في الحياة وسقوطها ضحية الضعف والفساد (؟؟) "

(الطاهر الحداد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع مواضع متفرقة)

بقي أن تعلم لماذا تسعى الحركات السريّة لإحلال الأنثى، والرجال من أشباه الأنثى، محل أولي الحزم والعزم من الرجال، في سدّة السلطة ورأس المجتمعات وتوجيه التاريخ.

عِلمت أنّ أحد الفروق الرئيسيّة بين الرجل والمرأة في مواجهة المشاكل والأزمات، أنّ المرأة تميل في مواجهة أي مشكلة إلى الكلام عنها وعن حلّها، وأنّ هذا الكلام عن المشكلة وطريقة حلِّها أهم عِندها من الحل نفسه، وهو ما يدركه الأبالسة الخبراء في نفوس البشر من اليهود حقاً، وليس سفراء الغرب الحمقى.

ومن ثمّ، فوضع المرأة في سدّة الحكم وصدارة المجتمعات، ووضع زمام التاريخ في يدها، يعني تلقائياً نقل السلطة والفعل الحقيقي وصناعة القرار ومقاليد المجتمعات ودفع التاريخ وتحديد وجهته إلى طبقات المستشارين، ومراكز الاستشارات، ووسائل الإعلام، ومن يملكونها ويحركونها من رجال المال، وهي كلها، وعبر التاريخ كله، المعاقل التي يُرابط فيها، والأوكار التي يختبئ داخلها أبناء القبالاه والحركات السريّة من اليهود، من أجل تغيير وعي البشر والسيطرة على مقاليد المجتمعات وتسييرها من الكواليس، ودون أن يظهروا على مسرح السلطة، ولا في الشاشات، ولا في كتب التاريخ.

فإذا أردت أن تعرف تفاصيل ذلك، وكيف، ولماذا، مع أمثلته ونماذجه عبر التاريخ، فما عليك إلا أن تذهب إلى كتاب "**الوحي ونقيضه**" للمتخصص في الدراسات اليهوديّة وتاريخ الحركات السريّة دكتور (بهاء الأمير)، وتقرأه من غلافه إلى غلافه (788 صفحة).

والآن، وقد انتهت رحلتك مع قضيّة المرأة وروّاد تحريرها وكتبهم المزوَّرة، فخلاصتها وما تخرج به منها، هي أنّها لم تكن أبداً المرأة ولا تحريرها ولا مساواتها، إنّما المسألة هي أنّ قضيّة المرأة ساحة وميدان صِراع بين عالمَيْن ورؤيَتيْن للوجود كله، رؤية جاء بها الإسلام ويحملها أبناؤه، ورؤية صنعها بنو إسرائيل للغرب ويصدّرونها إلينا عبر سفرائه، رؤية عقيدتها "**لا إله إلا الله**" خلق الإنسان والعِلم والعقل هِبة له، لا يعلوان عليه سبحانه، ورؤية وقُودها لا إله إلا العِلم والعقل والقبالاه وما يأتي به الإنسان.